الحمد

في القرآن والسنة

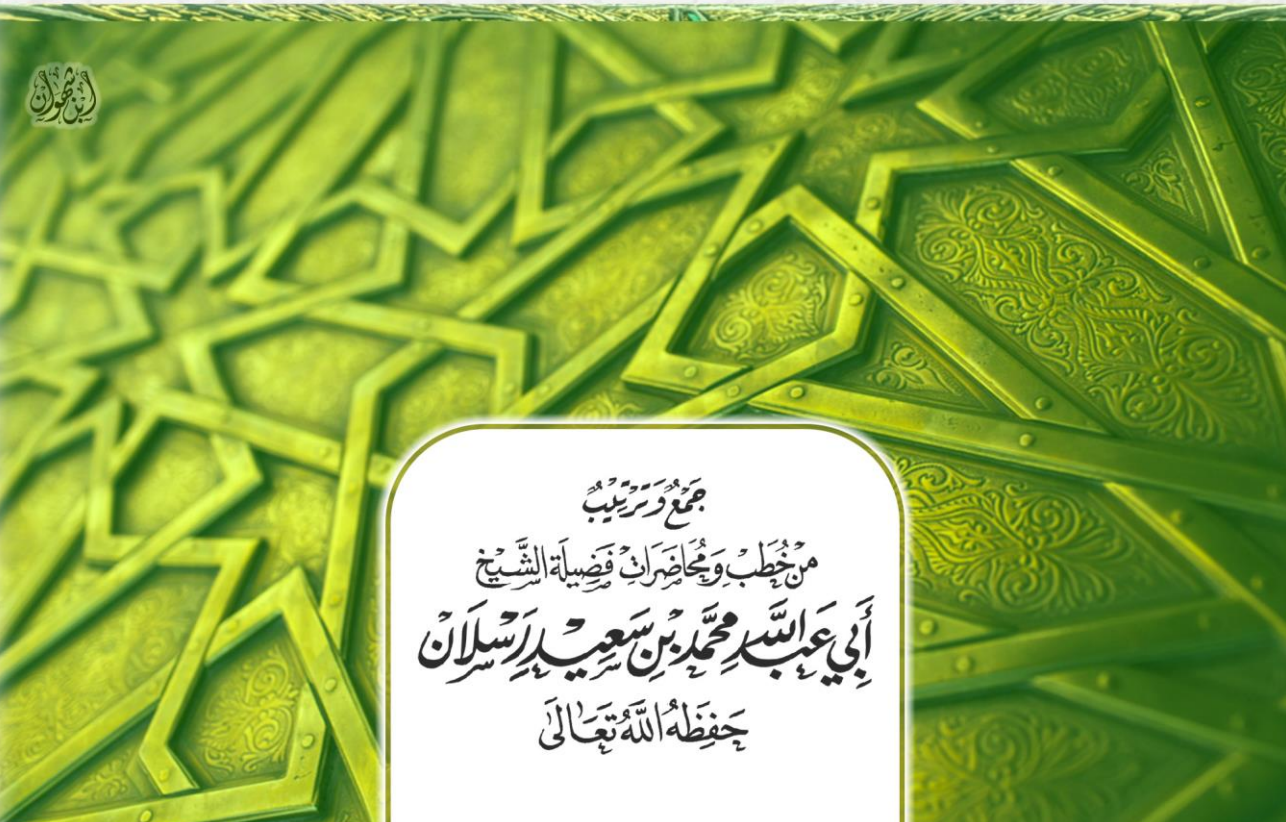

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

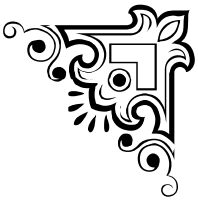

الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ أَصْلُ الْعِلْمِ

«فَإِنَّ أَفْضَلَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالْحَالِ الْعِلْمُ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَالْعَمَلُ بِمَرْضَاتِهِ، وَانْجِذَابُ الْقَلْبِ إِلَيْهِ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ؛ فَهَذَا أَشْرَفُ مَا فِي الدُّنْيَا، وَجَزَاؤُهُ أَشْرَفُ مَا فِي الْآخِرَةِ.

وَأَجَلُّ الْمَقَاصِدِ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَحَبَّتُهُ، وَالْأُنْسُ بِقُرْبِهِ، وَالشَّوْقُ إِلَىٰ لِقَائِهِ، وَالتَّنَعُّمُ بِذِكْرِهِ، وَهَذَا أَجَلُّ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا هُوَ الْغَايَةُ الَّتِي تُطْلَبُ لِذَاتِهَا.

وَكُلُّ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ تَبَعٌ لِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ، مُرَادَةٌ لِأَجْلِهَا، وَتَفَاوُتُ الْعُلُومِ فِي فَضْلِهَا بِحَسَبِ إِفْضَائِهَا إِلَىٰ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ وَبُعْدِهَا؛ فَكُلُّ عِلْمٍ كَانَ أَقْرَبَ إِفْضَاءً إِلَىٰ الْعِلْمِ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ فَهُوَ أَعْلَىٰ مِمَّا دُونَهُ.

وَكَذَلِكَ حَالُ الْقَلْبِ؛ فَكُلُّ حَالٍ كَانَ أَقْرَبَ إِلَىٰ الْمَقْصُودِ الَّذِي خُلِقَ لَهُ فَهُوَ أَشْرَفُ مِمَّا دُونَهُ.

وَكَذَلِكَ الْأَعْمَالُ؛ فَكُلُّ عَمَلٍ كَانَ أَقْرَبَ إِلَىٰ تَحْصِيلِ هَذَا الْمَقْصُودِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ؛ وَلِهَذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ وَالْجِهَادُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ أَوْ أَفْضَلَهَا؛ لِقُرْبِ إِفْضَائِهَا إِلَىٰ الْمَقْصُودِ.

وَهَكَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ؛ فَإِنَّ كُلَّمَا كَانَ الشَّيْءُ أَقْرَبَ إِلَىٰ الْغَايَةِ كَانَ أَفْضَلَ مِنَ الْبَعِيدِ عَنْهَا، فَالْعَمَلُ الْمُعِدُّ لِلْقَلْبِ، الْمُهَيِّأُ لَهُ لِمَعْرِفَةِ اللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ أَفْضَلُ مِمَّا لَيْسَ كَذَلِكَ»(١). (*).

(١) «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» (ص: ١١٤) لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ أَصْلُ الْعِلْمِ» - الْجُمُعَةُ ١٧ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٥هـ| ١٦-٥-٢٠١٤م.

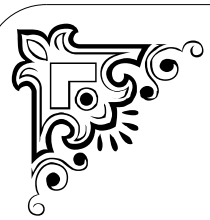
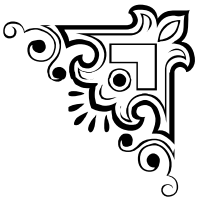

عَقِيدَتُنَا فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: هُوَ الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتِ الْعُلَىٰ، وَإِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ، كَمَا جَمَعَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بَيْنَ إِثْبَاتِهَا وَنَفْيِ التَّكْيِيفِ عَنْهَا فِي كِتَابِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠].

وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١].

وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ(١) **عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ** رضي الله عنه: «أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ -يَعْنِي: لَمَّا ذَكَرَ آلِهَتَهُمْ-: «انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ».

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢]».

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٦٤)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٣٦٤).

وَالصَّمَدُ: الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُولَدُ إِلَّا سَيَمُوتُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَمُوتُ إِلَّا سَيُورَثُ، وَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- لَا يَمُوتُ، وَلَا يُورَثُ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

وَأَرْكَانُ الْإِيمَانِ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ ثَلَاثَةٌ، هِيَ:

- إِيمَانٌ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ كُلِّهَا.
- وَإِيمَانٌ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ.
- وَإِيمَانٌ بِأَحْكَامِ صِفَاتِهِ وَمُتَعَلَّقَاتِهَا.

فَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ عَلِيمٌ، لَهُ الْعِلْمُ الْكَامِلُ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ قَدِيرٌ ذُو قُدْرَةٍ عَظِيمَةٍ يَقْدِرُ بِهَا عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ رَحِيمٌ رَحْمَنٌ، ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ يَرْحَمُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ، وَهَكَذَا بَقِيَّةُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتِ وَمُتَعَلَّقَاتِهَا.

وَطَرِيقَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي أَسْمَاءِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَصِفَاتِهِ: أَنَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ أَنَّ مَا ثَبَتَ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ فِي كِتَابِ اللهِ أَوْ فِيمَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ هُوَ حَقٌّ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ، وَيُرَادُ بِهِ ظَاهِرُهُ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَحْرِيفِ الْمُحَرِّفِينَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ تَحْرِيفَ الْمُحَرِّفِينَ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ سُوءِ فَهْمٍ، أَوْ سُوءِ قَصْدٍ؛ حَيْثُ ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِذَا أَثْبَتُوا تِلْكَ النُّصُوصَ أَوْ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ عَلَىٰ ظَاهِرِهَا؛ ظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ إِثْبَاتٌ لِلتَّمْثِيلِ؛ وَلِهَذَا صَارُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَقَدْ يَكُونُونَ مِمَّنْ لَمْ يَفْهَمُوا هَذَا الْفَهْمَ؛ وَلَكِنْ لَهُمْ سُوءُ قَصْدٍ فِي تَفْرِيقِ هَذِهِ الْأُمَّةِ شِيَعًا، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ مَا سَمَّىٰ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ، وَمَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ فَهُوَ حَقٌّ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ وَعَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَحْرِيفِ الْمُحَرِّفِينَ، بَلْ هُوَ أَبْعَدُ مَا يَكُونُ عَنْ ذَلِكَ، وَهُوَ -أَيْضًا- لَا يُمْكِنُ أَنْ يُفْهَمَ مِنْهُ مَا لَا يَلِيقُ بِاللهِ ﷻ مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ أَوِ الْمُمَاثَلَةِ لِلْمَخْلُوقِينَ.

بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْمُثْلَىٰ يَسْلَمُونَ مِنَ الزَّيْغِ وَالْإِلْحَادِ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، فَلَا يُثْبِتُونَ لِلَّهِ إِلَّا مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، أَوْ أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ ﷺ، غَيْرَ زَائِدِينَ فِي ذَلِكَ وَلَا نَاقِصِينَ عَنْهُ؛ وَلِهَذَا كَانَتْ طَرِيقَتُهُمْ: أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ وَصِفَاتِهِ تَوْقِيفِيَّةٌ، فَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يُسَمِّيَ اللهَ بِمَا لَمْ يُسَمِّ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا أَنْ يَصِفَ اللهَ بِمَا لَمْ يَصِفْ بِهِ نَفْسَهُ.

فَأَسْمَاءُ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَصِفَاتُهُ تَوْقِيفِيَّةٌ، لَا مَجَالَ لِلْعَقْلِ فِيهَا؛ وَعَلَىٰ هَذَا فَيَجِبُ الْوُقُوفُ فِيهَا عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ مِنْهَا؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ لَا يُمْكِنُهُ إِدْرَاكُ مَا يَسْتَحِقُّهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، فَوَجَبَ الْوُقُوفُ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ النَّصِّ.

وَلِأَنَّ تَسْمِيَتَهُ -تَعَالَىٰ- بِمَا لَمْ يُسَمِّ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ إِنْكَارَ مَا سَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ جِنَايَةٌ فِي حَقِّهِ -تَعَالَىٰ-، فَوَجَبَ سُلُوكُ الْأَدَبِ فِي ذَلِكَ، وَالِاقْتِصَارُ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ النَّصُّ.

فَأَيُّ إِنْسَانٍ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ كَذَا، أَوْ لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ كَذَا، أَوْ إِنَّ مِنْ صِفَاتِ اللهِ -تَعَالَىٰ- كَذَا، أَوْ لَيْسَ مِنْ صِفَاتِ اللهِ -تَعَالَىٰ- كَذَا بِلَا دَلِيلٍ؛ فَإِنَّهُ -لَا شَكَّ- قَوْلٌ عَلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- بِلَا عِلْمٍ، وَقَدْ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾**﴾ [الأعراف: ٣٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾**﴾ [الإسراء: ٣٦].(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْح: سُؤَالٌ وَجَوَابٌ فِي أَهَمِّ الْمُهِمَّاتِ» لِلْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ -(الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ وَالثَّالِثَةُ)، السَّبْتُ ٢٤ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٤هـ| ٤-٥-٢٠١٣م.

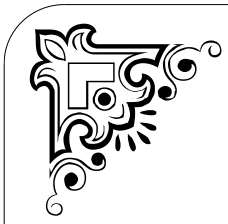

خَطَرُ الْجَهْلِ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ

«الْجُهَّالُ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، الْمُعَطِّلُونَ لِحَقَائِقِهَا يُبَغِّضُونَ اللهَ إِلَىٰ خَلْقِهِ، وَيَقْطَعُونَ عَلَيْهِمْ طَرِيقَ مَحَبَّتِهِ وَالتَّوَدُّدِ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ: أَنَّهُمْ يُقَرِّرُونَ فِي نُفُوسِ الضُّعَفَاءِ أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ- لَا تَنْفَعُ مَعَهُ طَاعَةٌ وَإِنْ طَالَ زَمَانُهَا، وَبَالَغَ الْعَبْدُ وَأَتَىٰ بِهَا بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَيْسَ عَلَىٰ ثِقَةٍ وَلَا أَمْنٍ مِنْ مَكْرِهِ، بَلْ شَأْنُهُ -سُبْحَانَهُ- أَنْ يَأْخُذَ الْمُطِيعَ الْمُتَّقِيَ مِنَ الْمِحْرَابِ إِلَىٰ الْمَاخُورِ، وَمِنَ التَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ إِلَىٰ الشِّرْكِ وَالْمِزْمَارِ، وَيُقَلِّبُ قَلْبَهُ مِنَ الْإِيمَانِ الْخَالِصِ إِلَىٰ الْكُفْرِ، وَيَرْوُونَ فِي ذَلِكَ آثَارًا صَحِيحَةً لَمْ يَفْهَمُوهَا، وَبَاطِلَةً لَمْ يَقُلْهَا الْمَعْصُومُ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ هَذَا حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ، وَيَتْلُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وَقَوْلَهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩].

وَقَوْلَهُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وَيُقِيمُ هَؤُلَاءِ إِبْلِيسَ حُجَّةً لَهُمْ عَلَىٰ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ، وَأَنَّهُ كَانَ طَاوُوسَ الْمَلَائِكَةِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ فِي السَّمَاءِ رُقْعَةً وَلَا فِي الْأَرْضِ بُقْعَةً إِلَّا وَلَهُ فِيهَا سَجْدَةٌ أَوْ رَكْعَةٌ؛ وَلَكِنْ جَنَا عَلَيْهِ جَانِي الْقَدَرِ، وَسَطَا عَلَيْهِ الْحُكْمُ، فَقَلَبَ عَيْنَهُ الطَّيِّبَةَ، وَجَعَلَهَا أَخْبَثَ شَيْءٍ؛ حَتَّىٰ قَالَ بَعْضُ عَارِفِيهِمْ: «إِنَّكَ يَنْبَغِي أَنْ تَخَافَ اللهَ كَمَا تَخَافُ الْأَسَدَ الَّذِي يَثِبُ عَلَيْكَ بِغَيْرِ جُرْمٍ مِنْكَ وَلَا ذَنْبٍ أَتَيْتَهُ إِلَيْهِ!!».

وَيَحْتَجُّونَ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ -وَهُوَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1]-: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّىٰ لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا**».

وَيَرْوُونَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ».

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَوْ غَيْرِهِ: أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَدْعُو: «اللَّهُمَّ لَا تُؤَمِّنِّي مَكْرَكَ».

فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِمَّنْ يَأْمَنُ مَكْرَكَ».

وَبَنَوْا هَذَا عَلَىٰ أَصْلِهِمُ الْبَاطِلِ؛ وَهُوَ إِنْكَارُ الْحِكْمَةِ وَالتَّعْلِيلِ وَالْأَسْبَابِ، وَأَنَّ اللهَ لَا يَفْعَلُ لِحِكْمَةٍ وَلَا لِسَبَبٍ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ بِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالتَّعْلِيلِ وَالسَّبَبِ، فَلَا يَفْعَلُ لِشَيْءٍ وَلَا بِشَيْءٍ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ عَلَيْهِ أَنْ يُعَذِّبَ أَهْلَ طَاعَتِهِ أَشَدَّ الْعَذَابِ، وَيُنَعِّمَ أَعْدَاءَهُ وَأَهْلَ مَعْصِيَتِهِ بِجَزِيلِ الثَّوَابِ، وَأَنَّ الْأَمْرَيْنِ

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ سَوَاءٌ، وَلَا يُعْلَمُ امْتِنَاعُ ذَلِكَ إِلَّا بِخَبَرٍ مِنَ الصَّادِقِ أَلَّا يَفْعَلَهُ؛ فَحِينَئِذٍ يُعْلَمُ امْتِنَاعُهُ لِوُقُوعِ الْخَبَرِ بِأَنَّهُ لَا يَكُونُ، لَا لِأَنَّهُ فِي نَفْسِهِ بَاطِلٌ وَظُلْمٌ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ فِي نَفْسِهِ مُسْتَحِيلٌ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مُمْكِنٍ، بَلْ هُوَ بِمَنْزِلَةِ جَعْلِ الْجِسْمِ الْوَاحِدِ فِي مَكَانَيْنِ فِي آنٍ وَاحِدٍ، وَبِمَثَابَةِ الْجَمْعِ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَجَعْلِ الشَّيْءِ مَوْجُودًا مَعْدُومًا مَعًا فِي آنٍ وَاحِدٍ؛ فَهَذَا حَقِيقَةُ الظُّلْمِ عِنْدَهُمْ.

فَإِذَا رَجَعَ الْعَامِلُ إِلَىٰ نَفْسِهِ قَالَ -عِنْدَمَا يَأْخُذُ بِهَذِهِ الْمَقُولَةِ الْبَاطِلَةِ، وَيَعْتَقِدُ هَذَا الِاعْتِقَادَ الَّذِي لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَلَا مِنَ السُّنَّةِ؛ بَلْ أَدِلَّةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَنْسِفُهُ نَسْفًا، وَتَمْحَقُهُ مَحْقًا-؛ إِذَا رَجَعَ الْعَامِلُ إِلَىٰ نَفْسِهِ قَالَ: مَنْ لَا يَسْتَقِرُّ لَهُ أَمْرٌ، وَلَا يُؤْمَنُ لَهُ مَكْرٌ؛ كَيْفَ يُوثَقُ بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَكَيْفَ يُعَوَّلُ عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَلَيْسَ لَنَا سِوَىٰ هَذِهِ الْمُدَّةِ الْيَسِيرَةِ، فَإِذَا هَجَرْنَا فِيهَا اللَّذَّاتِ، وَتَرَكْنَا الشَّهَوَاتِ، وَتَكَلَّفْنَا أَثْقَالَ الْعِبَادَاتِ، وَكُنَّا مَعَ ذَلِكَ عَلَىٰ غَيْرِ ثِقَةٍ مِنْهُ أَنْ يُقَلِّبَ عَلَيْنَا الْإِيمَانَ كُفْرًا، وَالتَّوْحِيدَ شِرْكًا، وَالطَّاعَةَ مَعْصِيَةً، وَالْبِرَّ فُجُورًا، وَيُدِيمَ عَلَيْنَا الْعُقُوبَاتِ؛ كُنَّا خَاسِرِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ!!

فَإِذَا اسْتَحْكَمَ هَذَا الِاعْتِقَادُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَتَخَمَّرَ فِي نُفُوسِهِمْ؛ صَارُوا إِذَا أُمِرُوا بِالطَّاعَاتِ، وَهَجْرِ الْمَلَذَّاتِ؛ بِمَنْزِلَةِ إِنْسَانٍ جَعَلَ يَقُولُ لِوَلَدِهِ: «مُعَلِّمُكَ؛ إِنْ كَتَبْتَ، وَأَحْسَنْتَ، وَتَأَدَّبْتَ، وَلَمْ تَعْصِهِ؛ رُبَّمَا أَقَامَ لَكَ حُجَّةً وَعَاقَبَكَ، وَإِنْ كَسِلْتَ، وَبَطَلْتَ، وَتَعَطَّلْتَ، وَتَرَكْتَ مَا أَمَرَكَ بِهِ؛ رُبَّمَا قَرَّبَكَ وَأَكْرَمَكَ!».

فَيُودِعُ بِهَذَا الْقَوْلِ قَلْبَ الصَّبِيِّ مَا لَا يَثِقُ بَعْدَهُ إِلَىٰ وَعِيدِ الْمُعَلِّمِ، وَلَا وَعْدِهِ عَلَىٰ الْإِحْسَانِ، وَإِنْ كَبِرَ الصَّبِيُّ وَصَلَحَ لِلْمُعَامَلَاتِ وَالْمَنَاصِبِ قَالَ لَهُ : «هَذَا سُلْطَانُ

بَلَدِنَا يَأْخُذُ اللِّصَّ مِنَ الْحَبْسِ، فَيَجْعَلُهُ وَزِيرًا وَأَمِيرًا، وَيَأْخُذُ الْكَيِّسَ الْمُحْسِنَ لِيُشَغِّلَهُ وَيُخَلِّدَهُ فِي الْحَبْسِ، وَلِيَقْتُلَهُ وَيَصْلُبَهُ»، فَإِذَا قَالَ لَهُ ذَلِكَ أَوْحَشَهُ مِنْ سُلْطَانِهِ، وَجَعَلَهُ عَلَىٰ غَيْرِ ثِقَةٍ مِنْ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَأَزَالَ مَحَبَّتَهُ مِنْ قَلْبِهِ، وَجَعَلَهُ يَخَافُهُ مَخَافَةَ الظَّالِمِ الَّذِي يَأْخُذُ الْمُحْسِنَ بِالْعُقُوبَةِ، وَيَأْخُذُ الْبَرِيءَ بِالْعَذَابِ؛ فَأَفْلَسَ هَذَا الْمِسْكِينُ مِنِ اعْتِقَادِ كَوْنِ الْأَعْمَالِ نَافِعَةً أَوْ ضَارَّةً، فَلَا بِفِعْلِ الْخَيْرِ يَسْتَأْنِسُ، وَلَا مِنْ فِعْلِ الشَّرِّ يَسْتَوْحِشُ.

وَهَلْ فِي التَّنْفِيرِ عَنِ اللهِ، وَتَبْغِيضِهِ إِلَىٰ عِبَادِهِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا؟!!

وَلَوِ اجْتَهَدَ الْمَلَاحِدَةُ فِي تَبْغِيضِ الدِّينِ، وَالتَّنْفِيرِ عَنِ اللهِ؛ لَمَا أَتَوْا بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا!!

وَصَاحِبُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ يَظُنُّ أَنَّهُ يُقَرِّرُ التَّوْحِيدَ وَالْقَدَرَ، وَيَرُدُّ عَلَىٰ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَيَنْصُرُ الدِّينَ، وَلَعَمْرُ اللهِ! الْعَدُوُّ الْعَاقِلُ أَقَلُّ ضَرَرًا مِنَ الصَّدِيقِ الْجَاهِلِ، وَكُتُبُ اللهِ الْمُنَزَّلَةُ كُلُّهَا وَرُسُلُهُ كُلُّهُمْ شَاهِدَةٌ بِضِدِّ ذَلِكَ؛ وَلَا سِيَّمَا الْقُرْآنُ، فَلَوْ سَلَكَ الدُّعَاةُ الْمَسْلَكَ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ اللهُ وَرَسُولُهُ، الَّذِي دَعَوْا بِهِ النَّاسَ؛ لَصَلَحَ الْعَالَمُ صَلَاحًا لَا فَسَادَ مَعَهُ.

فَاللهُ -سُبْحَانَهُ- أَخْبَرَ أَنَّهُ إِنَّمَا يُعَامِلُ النَّاسَ بِكَسْبِهِمْ، وَيُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ، وَلَا يَخَافُ الْمُحْسِنُ لَدَيْهِ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا، وَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا، وَلَا يُضِيعُ عَمَلَ الْمُحْسِنِ أَبَدًا، وَلَا يُضَيِّعُ عَلَىٰ الْعَبْدِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَلَا يَظْلِمُهَا، ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠].

وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ جَازَاهُ بِهَا، وَلَا يُضَيِّعُهَا عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَيُحْبِطُهَا بِالتَّوْبَةِ، وَالنَّدَمِ، وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالْحَسَنَاتِ، وَالْمَصَائِبِ، وَيَجْزِي بِالْحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، وَيُضَاعِفُ إِلَىٰ سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ.

وَهُوَ -تَعَالَىٰ- الَّذِي أَصْلَحَ الْفَاسِدِينَ، وَأَقْبَلَ بِقُلُوبِ الْمُعْرِضِينَ، وَتَابَ عَلَىٰ الْمُذْنِبِينَ، وَهَدَىٰ الضَّالِّينَ، وَأَنْقَذَ الْهَالِكِينَ، وَعَلَّمَ الْجَاهِلِينَ، وَبَصَّرَ الْمُتَحَيِّرِينَ، وَذَكَّرَ الْغَافِلِينَ، وَآوَىٰ الشَّارِدِينَ، وَإِذَا أَوْقَعَ عِقَابًا أَوْقَعَهُ بَعْدَ شِدَّةِ التَّمَرُّدِ وَالْعُتُوِّ عَلَيْهِ، وَدَعْوَةِ الْعَبْدِ إِلَىٰ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ، وَالْإِقْرَارِ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَحَقِّهِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، حَتَّىٰ إِذَا أَيِسَ مِنِ اسْتِجَابَتِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ؛ أَخَذَهُ بِبَعْضِ كُفْرِهِ وَعُتُوِّهِ وَتَمَرُّدِهِ؛ بِحَيْثُ يَعْذُرُ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ، فَيَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- لَمْ يَظْلِمْهُ، وَأَنَّ الْعَبْدَ هُوَ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ- عَنْ أَهْلِ النَّارِ: ﴿**فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾**﴾ [المُلك: ١١].

وَقَالَ عَمَّنْ أَهْلَكَهُمْ فِي الدُّنْيَا: إِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا آيَاتِهِ وَأَحَسُّوا بِعَذَابِهِ: ﴿**قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾**﴾ [الأنبياء: ١٤-١٥]

وَقَالَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ الَّتِي أَفْسَدَهَا عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْهَا: ﴿**قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾**﴾ [ن: ٢٩].

قَالَ الْحَسَنُ: «لَقَدْ دَخَلُوا النَّارَ وَإِنَّ حَمْدَهُ لَفِي قُلُوبِهِمْ، مَا وَجَدُوا عَلَيْهِ -تَعَالَىٰ- حُجَّةً وَلَا سَبِيلًا»؛ لِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾**﴾ [الأنعام: ٤٥].

فَهَذِهِ الْجُمْلَةُ: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيْ: قُطِعَ دَابِرُهُمْ حَالَ كَوْنِهِ -سُبْحَانَهُ- مَحْمُودًا عَلَىٰ ذَلِكَ، فَقَطَعَ دَابِرَهُمْ قَطْعًا مُصَاحِبًا لِحَمْدِهِ، فَهُوَ قَطْعٌ وَإِهْلَاكٌ يُحْمَدُ عَلَيْهِ الرَّبُّ -تَعَالَىٰ-؛ لِكَمَالِ حِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، وَوَضْعِهِ الْعُقُوبَةَ فِي مَوْضِعِهَا الَّذِي لَا يَلِيقُ بِهِ غَيْرُهَا، فَوَضَعَهَا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَقُولُ مَنْ عَلِمَ الْحَالَ: لَا تَلِيقُ الْعُقُوبَةُ إِلَّا بِهَذَا الْمَحَلِّ، وَلَا يَلِيقُ بِهِ إِلَّا الْعُقُوبَةُ؛ وَلِهَذَا قَالَ عَقِيبَ إِخْبَارِهِ عَنِ الْحُكْمِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَمَصِيرِ أَهْلِ السَّعَادَةِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَأَهْلِ الشَّقَاءِ إِلَىٰ النَّارِ: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر: ٧٥]، فَحَذَفَ فَاعِلَ الْقَوْلِ إِشْعَارًا بِالْعُمُومِ، وَأَنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ قَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لَمَّا شَاهَدُوا مِنْ حِكْمَتِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَفَضْلِهِ مَا تَقَرُّ بِهِ الْقُلُوبُ، وَتَعْتَرِفُ بِهِ الْأَفْئِدَةُ؛ وَلِهَذَا قَالَ فِي حَقِّ أَهْلِ النَّارِ: ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ [الزمر: ٧٢]، كَأَنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ؛ حَتَّىٰ تَقُولَهُ أَعْضَاؤُهُمْ، وَأَرْوَاحُهُمْ، وَأَرْضُهُمْ، وَسَمَاؤُهُمْ؛ فَقَدْ حَذَفَ فَاعِلَ الْقَوْلِ إِشْعَارًا بِالْعُمُومِ، وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- يُخْبِرُ أَنَّهُ إِذَا أَهْلَكَ أَعْدَاءَهُ أَنْجَىٰ أَوْلِيَاءَهُ، وَلَا يَعُمُّهُمْ بِالْهَلَاكِ بِمَحْضِ الْمَشِيئَةِ.

وَلَمَّا سَأَلَهُ نُوحٌ نَجَاةَ ابْنِهِ أُخْبِرَ أَنَّهُ يُغْرِقُهُ بِسُوءِ عَمَلِهِ وَكُفْرِهِ، وَلَمْ يَقُلْ: إِنِّي أُغْرِقُهُ بِمَحْضِ مَشِيئَتِي وَإِرَادَتِي بِلَا سَبَبٍ وَلَا ذَنْبٍ.

وَقَدْ ضَمِنَ -سُبْحَانَهُ- زِيَادَةَ الْهِدَايَةِ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، وَلَمْ يُخْبِرْ أَنَّهُ يُضِلُّهُمْ، وَيُبْطِلُ سَعْيَهُمْ.

وَكَذَلِكَ ضَمِنَ زِيَادَةَ الْهِدَايَةِ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ رِضْوَانَهُ.

وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يُضِلُّ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يُضِلُّ مَنْ آثَرَ الضَّلَالَ، وَاخْتَارَهُ عَلَىٰ الْهُدَىٰ، فَيَطْبَعُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -حِينَئِذٍ- عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ.

وَأَنَّهُ -تَعَالَىٰ- يُقَلِّبُ قَلْبَ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهُدَاهُ إِذَا جَاءَهُ الْهُدَىٰ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ وَدَفَعَهُ وَرَدَّهُ، فَيُقَلِّبُ فُؤَادَهُ وَبَصَرَهُ؛ عُقُوبَةً لَهُ عَلَىٰ رَدِّهِ وَدَفْعِهِ لِمَا تَحَقَّقَهُ وَعَرَفَهُ، وَأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- لَوْ عَلِمَ فِي تِلْكَ الْمَحَالِّ الَّتِي حَكَمَ عَلَيْهَا بِالضَّلَالِ وَالشَّقَاءِ خَيْرًا لَأَفْهَمَهَا وَهَدَاهَا؛ وَلَكِنَّهَا لَا تَصْلُحُ لِنِعْمَتِهِ، وَلَا تَلِيقُ بِهَا كَرَامَتُهُ.

وَقَدْ أَزَاحَ -سُبْحَانَهُ- الْعِلَلَ، وَأَقَامَ الْحُجَجَ، وَمَكَّنَ مِنْ أَسْبَابِ الْهِدَايَةِ، وَأَنَّهُ لا يُضِلُّ إِلَّا الْفَاسِقِينَ وَالظَّالِمِينَ، وَلَا يَطْبَعُ إِلَّا عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ، وَلَا يُرْكِسُ فِي الْفِتْنَةِ إِلَّا الْمُنَافِقِينَ بِكَسْبِهِمْ، وَأَنَّ الرَّيْنَ الَّذِي غَطَّىٰ بِهِ قُلُوبَ الْكُفَّارِ هُوَ عَيْنُ كَسْبِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤].

وَقَالَ عَنْ أَعْدَائِهِ مِنَ الْيَهُودِ: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء: ١٥٥].

وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يُضِلُّ مَنْ هَدَاهُ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُ مَا يَتَّقِي، فَيَخْتَارُ لِشِقْوَتِهِ وَسُوءِ طَبِيعَتِهِ الضَّلَالَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ، وَالْغَيَّ عَلَىٰ الرَّشَادِ، وَيَكُونُ مَعَ نَفْسِهِ وَشَيْطَانِهِ وَعَدُوِّ رَبِّهِ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الْمَكْرُ الَّذِي وَصَفَ -تَعَالَىٰ- بِهِ نَفْسَهُ؛ فَهُوَ مُجَازَاتُهُ لِلْمَاكِرِينَ بِأَوْلِيَائِهِ

وَرُسُلِهِ، فَيُقَابِلُ مَكْرَهُمُ السَّيِّئَ بِمَكْرِهِ الْحَسَنِ، فَيَكُونُ الْمَكْرُ مِنْهُمْ أَقْبَحَ شَيْءٍ، وَمِنْهُ أَحْسَنَ شَيْءٍ؛ لِأَنَّهُ عَدْلٌ وَمُجَازَاةٌ.

وَكَذَلِكَ الْمُخَادَعَةُ مِنْهُ جَزَاءٌ عَلَىٰ مُخَادَعَةِ الْمُخَادِعِينَ لِرُسُلِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، فَلَا أَحْسَنَ مِنْ تِلْكَ الْمُخَادَعَةِ وَالْمَكْرِ.

وَأَمَّا كَوْنُ الرَّجُلِ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ؛ فَإِنَّ هَذَا عَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَظْهَرُ لِلنَّاسِ، وَلَوْ كَانَ عَمَلًا صَالِحًا مَقْبُولًا لِلْجَنَّةِ قَدْ أَحَبَّهُ اللهُ وَرَضِيَهُ؛ لَمْ يُبْطِلْهُ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: «**لَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ**» يُشْكِلُ عَلَىٰ هَذَا التَّفْسِيرِ فَيُقَالُ: لَمَّا كَانَ الْعَمَلُ بِآخِرِهِ وَخَاتِمَتِهِ لَمْ يَصْبِرْ هَذَا الْعَامِلُ عَلَىٰ عَمَلِهِ حَتَّىٰ يَتِمَّ لَهُ، بَلْ كَانَ فِيهِ دَسِيسَةٌ كَامِنَةٌ وَآفَةٌ كَامِنَةٌ فِي قَلْبِهِ وَرُوحِهِ وَضَمِيرِهِ؛ وَلَكِنَّهُ خُذِلَ بِهَا فِي آخِرِ عُمُرِهِ، فَخَانَتْهُ تِلْكَ الْآفَةُ وَالدَّاهِيَةُ الْبَاطِنَةُ فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ، فَرَجَعَ إِلَىٰ مُوجَبِهَا، وَعَمِلَتْ عَمَلَهَا، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ غِشٌّ وَآفَةٌ لَمْ يَقْلِبِ اللهُ -تَعَالَىٰ- إِيمَانَهُ كُفْرًا وَرِدَّةً مَعَ صِدْقِهِ فِيهِ وَإِخْلَاصِهِ بِغَيْرِ سَبَبٍ مِنْهُ يَقْتَضِي إِفْسَادَهُ عَلَيْهِ، وَاللهُ يَعْلَمُ مِنْ سَائِرِ الْعِبَادِ مَا لَا يَعْلَمُهُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ.

وَأَمَّا شَأْنُ إِبْلِيسَ؛ فَإِنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ- قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿**إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

فَالرَّبُّ -تَعَالَىٰ- كَانَ يَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِ إِبْلِيسَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْكِبْرِ وَالْحَسَدِ مَا لَا يَعْلَمُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَلَمَّا أُمِرُوا بِالسُّجُودِ ظَهَرَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الطَّاعَةِ، وَالْمَحَبَّةِ،

وَالْخَشْيَةِ، وَالِانْقِيَادِ، فَبَادَرُوا إِلَىٰ الِامْتِثَالِ، وَظَهَرَ مَا فِي قَلْبِ عَدُوِّهِ مِنَ الْكِبْرِ، وَالْغِشِّ، وَالْحَسَدِ، فَأَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ، وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ.

وَأَمَّا خَوْفُ أَوْلِيَائِهِ مِنْ مَكْرِهِ فَحَقٌّ؛ فَإِنَّهُمْ يَخَافُونَ أَنْ يَخْذُلَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ، فَيَصِيرُونَ إِلَىٰ الشَّقَاءِ؛ فَخَوْفُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَرَجَاؤُهُمْ لِرَحْمَتِهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿**أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ**﴾؛ إِنَّمَا هُوَ فِي حَقِّ الْفُجَّارِ وَالْكُفَّارِ.

وَمَعْنَىٰ الْآيَةِ: فَلَا يَعْصِي وَيَأْمَنُ مُقَابَلَةَ اللهِ لَهُ عَلَىٰ مَكْرِ السَّيِّئَاتِ بِمَكْرِهِ بِهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ.

وَالَّذِي يَخَافُهُ الْعَارِفُونَ بِاللهِ مِنْ مَكْرِهِ: أَنْ يُؤَخِّرَ عَنْهُمْ عَذَابَ الْأَفْعَالِ، فَيَحْصُلَ مِنْهُمْ نَوْعُ اغْتِرَارٍ، فَيَأْنَسُوا بِالذُّنُوبِ؛ فَيَجِيئَهُمُ الْعَذَابُ عَلَىٰ غِرَّةٍ وَفَتْرَةٍ.

وَأَمْرٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنْ يَغْفُلُوا عَنْهُ، وَيَنْسَوْا ذِكْرَهُ، فَيَتَخَلَّىٰ عَنْهُمْ إِذَا تَخَلَّوْا عَنْ ذِكْرِهِ وَطَاعَتِهِ، فَيُسْرِعَ إِلَيْهِمُ الْبَلَاءُ وَالْفِتْنَةُ؛ فَيَكُونَ مَكْرُهُ بِهِمْ تَخَلِّيَهُ عَنْهُمْ.

وَأَمْرٌ آخَرُ: أَنْ يَعْلَمَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَعُيُوبِهِمْ مَا لَا يَعْلَمُونَهُ مِنْ نُفُوسِهِمْ، فَيَأْتِيَهُمُ الْمَكْرُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ.

وَأَمْرٌ آخَرُ: أَنْ يَمْتَحِنَهُمْ وَيَبْتَلِيَهُمْ بِمَا لَا صَبْرَ لَهُمْ عَلَيْهِ، فَيُفْتَنُونَ بِهِ، وَذَلِكَ مَكْرٌ»[1].

---

(١) «الفوائد» (ص: ٢٣٣-٢٤٠) للعلَّامة الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا: أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ الْأَعْمَالِ، وَالصِّدْقِ فِيهَا، وَأَنَّ الْمَرْءَ إِنَّمَا يُجَازَىٰ عَلَىٰ مَا قَدَّمَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

وَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي مَعْرِفَةِ رَبِّهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، كَمَا دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ كِتَابُ رَبِّهِ، وَمَا ثَبَتَ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَبَابُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مِنْ أَرْسَخِ وَأَكْمَلِ وَأَتَمِّ وَأَشْمَلِ أَبْوَابِ الدِّينِ.

وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَخْبَرَ أَنَّهُ خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، وَخَلَقَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ، وَجَعَلَ الْأَمْرَ الْكَوْنِيَّ وَالْأَمْرَ الْقَدَرِيَّ مُتَنَزِّلًا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

فَاللهُ جَلَّ وَعَلَا إِنَّمَا خَلَقَ هَذَا الْخَلْقَ كُلَّهُ مِنْ أَجْلِ عِبَادَتِهِ، وَالْخَلْقُ لَا يَعْبُدُونَهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ حَتَّىٰ يَعْرِفُوهُ؛ بَلِ النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا، وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ إِلَّا بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْحَمَّادُونَ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٧هـ| ٤-١٢-٢٠١٥م.

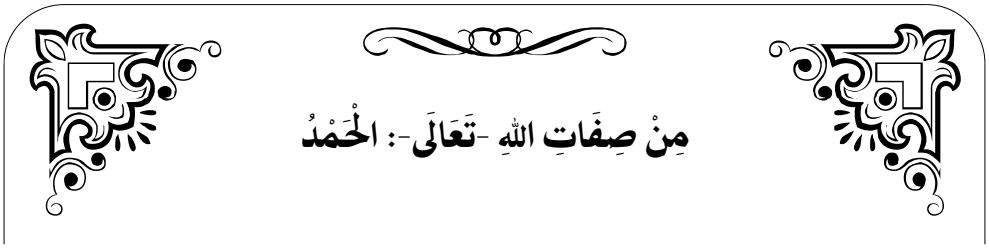

مِنْ صِفَاتِ اللهِ -تَعَالَى-: الْحَمْدُ

مِنْ صِفَاتِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **صِفَةُ الْحَمْدِ**.

وَاللهُ ﷻ هُوَ الْحَمِيدُ فِي ذَاتِهِ، وَأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ؛ فَلَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ أَحْسَنُهَا، وَمِنَ الصِّفَاتِ أَكْمَلُهَا وَأَجَلُّهَا، وَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِكُلِّ حَمْدٍ وَمَحَبَّةٍ وَثَنَاءٍ؛ لِكَمَالِ أَوْصَافِهِ، وَجَمِيلِ مَعْرُوفِهِ وَهِبَاتِهِ وَعَدْلِهِ، وَلِمَا اتَّصَفَ بِهِ مِنْ صِفَاتِ الْحَمْدِ الَّتِي هِيَ صِفَةُ الْجَمَالِ وَالْجَلَالِ؛ لِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ مِنَ النِّعَمِ الْجِزَالِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ لِلْعِبَادِ إِحْصَاؤُهَا، وَيَتَعَذَّرُ عَلَيْهِمُ اسْتِقْصَاؤُهَا.

فَنِعْمَ الرَّبُّ الْكَرِيمُ الَّذِي ابْتَدَأَنَا بِالنِّعَمِ، وَأَسْدَىٰ مِنَ النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ مَا لَا يُحْصِيهِ الْمُحْصُونَ، وَلَا يَعُدُّهُ الْعَادُّونَ؛ فَهُوَ الْمَحْمُودُ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، وَعَلَىٰ مَا لَهُ مِنَ الْكَمَالِ، وَمَا أَوْصَلَهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَفْضَالِ؛ فَالْحَمْدُ للهِ الْحَمِيدِ بِمَنِّهِ، لَهُ كُلُّ اسْمٍ حَسَنٍ، وَوَصْفٍ كَامِلٍ، وَفِعْلٍ جَمِيلٍ.

وَهُوَ الْحَمِيدُ فَكُلُّ حَمْدٍ وَاقِعٍ ... أَوْ كَانَ مَفْرُوضًا مَدَىٰ الْأَزْمَانِ
مَلَأَ الْوُجُودَ جَمِيعُهُ وَنَظِيرُهُ ... مِنْ غَيْرِ مَا عَدٍّ وَلَا حُسْبَانِ
هُوَ أَهْلُهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ ... كُلَّ الْمَحَامِدِ وَصْفُ ذِي الْإِحْسَانِ

وَالْحَمْدُ هُوَ أَعَمُّ الْمَعَارِفِ، وَأَوْسَعُ الْعُلُومِ، وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ كَمَالِهِ وَنُعُوتِ جَمَالِهِ، مُسْتَلْزِمٌ لَهَا، كَمَا هُوَ مُتَضَمِّنٌ لِحِكْمَتِهِ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَأَوَامِرِهِ؛ فَهُوَ الْمَحْمُودُ عَلَىٰ مَا لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ، وَالصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ الْعُلْيَا، وَالْمَدَائِحِ وَالْمَحَامِدِ، وَالنُّعُوتِ الْجَلِيلَةِ الْجَمِيلَةِ؛ فَلَهُ كُلُّ صِفَةِ كَمَالٍ، وَلَهُ مِنْ تِلْكَ الصِّفَةِ أَكْمَلُهَا وَأَعْظَمُهَا، فَكُلُّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا أَكْمَلَ الْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ؛ فَكَيْفَ بِجَمِيعِ الْأَوْصَافِ الْمُقَدَّسَةِ؟!!

فَلَهُ الْحَمْدُ لِذَاتِهِ، وَلَهُ الْحَمْدُ لِصِفَاتِهِ، وَلَهُ الْحَمْدُ لِأَفْعَالِهِ؛ لِأَنَّهَا دَائِرَةٌ بَيْنَ أَفْعَالِ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَبَيْنَ أَفْعَالِ الْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ الَّتِي يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا كَمَالَ الْحَمْدِ.

وَلَهُ الْحَمْدُ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَعَلَىٰ شَرْعِهِ، وَعَلَىٰ أَحْكَامِهِ الْقَدَرِيَّةِ، وَأَحْكَامِهِ الشَّرْعِيَّةِ، وَأَحْكَامِ الْجَزَاءِ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ.

وَالرَّبُّ -سُبْحَانَهُ- حَمْدُهُ قَدْ مَلَأَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَمَلَأَ الْعَالَمَ الْعُلْوِيَّ وَالسُّفْلِيَّ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَوَسِعَ حَمْدُهُ مَا وَسِعَ عِلْمُهُ؛ فَالْكَوْنُ كُلُّهُ نَاطِقٌ بِحَمْدِهِ، وَالْخَلْقُ وَالْأَمْرُ صَادِرٌ عَنْ حَمْدِهِ، وَقَائِمٌ بِحَمْدِهِ، وَوُجِدَ بِحَمْدِهِ، فَحَمْدُهُ هُوَ سَبَبُ وُجُودِ كُلِّ مَوْجُودٍ، وَهُوَ غَايَةُ كُلِّ مَوْجُودٍ، وَكُلُّ مَوْجُودٍ شَاهِدٌ بِحَمْدِهِ، وَإِرْسَالُهُ رَسُولَهُ بِحَمْدِهِ، وَإِنْزَالُهُ كُتُبَهُ بِحَمْدِهِ، وَالْجَنَّةُ عُمِّرَتْ بِأَهْلِهَا بِحَمْدِهِ، وَالنَّارُ عُمِّرَتْ بِأَهْلِهَا بِحَمْدِهِ، وَمَا أُطِيعَ إِلَّا بِحَمْدِهِ، وَمَا عُصِيَ إِلَّا بِحَمْدِهِ، وَهُوَ الْمَحْمُودُ لِذَاتِهِ وَإِنْ لَمْ يَحْمَدْهُ الْعِبَادُ.

وَلِهَذَا حَمِدَ نَفْسَهُ عَلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ الشَّامِلَةِ لِذَلِكَ كُلِّهِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢].

وَحَمِدَ نَفْسَهُ عَلَىٰ إِنْزَالِ كِتَابِهِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١].

وَحَمِدَ نَفْسَهُ عَلَىٰ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

وَحَمِدَ نَفْسَهُ عَلَىٰ كَمَالِ مُلْكِهِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾ [سبأ: ١].

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨﴾ [الروم: ١٧-١٨].

وَكَيْفَ لَا يُحْمَدُ عَلَىٰ خَلْقِهِ كُلِّهِ وَهُوَ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ، وَعَلَىٰ صُنْعِهِ وَقَدْ أَتْقَنَهُ ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وَعَلَىٰ أَمْرِهِ وَكُلُّهُ حِكْمَةٌ، وَرَحْمَةٌ، وَعَدْلٌ وَمَصْلَحَةٌ، وَعَلَىٰ نَهْيِهِ وَكُلُّ مَا نَهَىٰ عَنْهُ شَرٌّ وَفَسَادٌ، وَعَلَىٰ ثَوَابِهِ وَكُلُّهُ رَحْمَةٌ وَإِحْسَانٌ، وَعَلَىٰ عِقَابِهِ وَكُلُّهُ عَدْلٌ وَحَقٌّ؟!!

وَاللهُ -سُبْحَانَهُ- افْتَتَحَ الْخَلْقَ بِالْحَمْدِ، وَخَتَمَ أَمْرَ هَذَا الْعَالَمِ بِالْحَمْدِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ [الزمر: ٧٥].

فَافْتَتَحَ اللهُ -سُبْحَانَهُ- الْخَلْقَ بِالْحَمْدِ، وَخَتَمَ أَمْرَ هَذَا الْعَالَمِ بِالْحَمْدِ، فَحَمْدُهُ مَلَأَ الزَّمَانَ، وَالْمَكَانَ، وَالْأَعْيَانَ، وَعَمَّ الْأَحْوَالَ كُلَّهَا، فَلَهُ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَهُ الْمُلْكُ كُلُّهُ، وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ فِي الْآخِرَةِ يَظْهَرُ مِنْ حَمْدِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ مَا لَا يَكُونُ فِي الدُّنْيَا، فَأَهْلُ الْجَنَّةِ يَرَوْنَ مِنْ تَوَالِي نِعَمِ اللهِ، وَإِدْرَارِ خَيْرِهِ، وَكَثْرَةِ بَرَكَاتِهِ، وَسَعَةِ عَطَايَاهُ الَّتِي لَا يَبْقَىٰ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أُمْنِيَةٌ وَلَا إِرَادَةٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَىٰ مِنْهَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَوْقَ مَا تَمَنَّىٰ وَأَرَادَ؛ بَلْ يُعْطَوْنَ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَمْ تَتَعَلَّقْ بِهِ أَمَانِيُّهُمْ، وَمَا لَمْ يَخْطُرْ بِقُلُوبِهِمْ؛ فَمَا ظَنُّكَ بِحَمْدِهِمْ لِرَبِّهِمْ فِي هَذِهِ الْحَالِ؟!! مَعَ أَنَّ فِي الْجَنَّةِ تَضْمَحِلُّ الْعَوَارِضُ وَالْقَوَاطِعُ الَّتِي تَقْطَعُ عَنْ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ أَحَبَّ إِلَىٰ أَهْلِهَا مِنْ كُلِّ نَعِيمٍ، وَأَلَذَّ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ، هَذَا إِذَا أَضَفْتَ إِلَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ يَظْهَرُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ كُلَّ وَقْتٍ مِنْ عَظَمَةِ رَبِّهِمْ وَجَلَالِهِ وَجَمَالِهِ وَسَعَةِ كَمَالِهِ مَا يُوجِبُ لَهُمْ كَمَالَ الْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ.

فَتَفَاصِيلُ حَمْدِهِ وَمَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ لَا تُحِيطُ بِهَا الْأَفْكَارُ، وَلَا تُحْصِيهَا أَقْلَامُ الدُّنْيَا وَأَوْرَاقُهَا، وَلَا قُوَىٰ الْعِبَادِ، وَتَقْصُرُ بَلَاغَاتُ الْوَاصِفِينَ عَنْ بُلُوغِ كُنْهِهَا، وَتَعْجِزُ الْأَوْهَامُ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِالْوَاحِدِ مِنْهَا، وَإِنَّمَا هُوَ التَّنْبِيهُ وَالْإِشَارَةُ.

«**قَالَ مُؤْمِنُو الْجِنِّ لَمَّا سَمِعُوا قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ**: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن: ١٣]: وَلَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ؛ فَلَكَ الْحَمْدُ»(١). وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ»، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٩١)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٢٩١).

فَسُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ!

لَا يُحْصِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ ثَنَاءً عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ كَمَا أَثْنَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَفَوْقَ مَا يُثْنِي بِهِ عَلَيْهِ خَلْقُهُ؛ فَلَهُ الْحَمْدُ أَوَّلًا وَآخِرًا، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، مُبَارَكًا عَلَيْهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَىٰ.

فَلَهُ الْحَمْدُ كَمَا نَقُولُ، وَخَيْرًا مِمَّا نَقُولُ، لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ، هُوَ كَمَا أَثْنَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَكَيْفَ يُحْصِي الْعَبْدُ الضَّعِيفُ ثَنَاءً عَلَىٰ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ الَّذِي أَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا؟!

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]: وَفِي الْإِتْيَانِ بِـ(اللَّامِ) دَلِيلٌ عَلَىٰ اسْتِحْقَاقِ هَذَا الْحَمْدِ للهِ وَحْدَهُ، لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ؛ فَالْحَمْدُ الْمُطْلَقُ الْكَامِلُ لَا يَكُونُ إِلَّا للهِ ﷻ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ إِنَّمَا يُحْمَدُ عَلَىٰ شَيْءٍ مُعَيَّنٍ حَمْدًا يَلِيقُ بِهَذَا الشَّيْءِ الْمُعَيَّنِ، وَيُكَافِئُ هَذَا الشَّيْءَ الْمُعَيَّنَ.

فَإِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ أَنَّ الْحَمْدَ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ إِنَّمَا هُوَ للهِ، وَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ جَمِيعَ الْمَحَامِدِ بِأَسْرِهَا؛ إِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ ذَلِكَ كَانَ حَرِيًّا بِهِ أَنْ يَشْتَغِلَ بِالثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ لِذِي الْعُلَىٰ وَالْمَجْدِ؛ فَإِنَّهُ ﷻ لَهُ الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ الَّذِي لَا نَقْصَ فِيهِ بِوَجْهٍ مَا، وَالْإِحْسَانُ كُلُّهُ لَهُ وَمِنْهُ، فَهُوَ ﷻ أَهْلٌ وَأَحَقُّ بِكُلِّ حَمْدٍ وَبِكُلِّ حُبٍّ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، فَهُوَ أَهْلٌ أَنْ يُحَبَّ لِذَاتِهِ، وَلِصِفَاتِهِ، وَلِأَفْعَالِهِ، وَلِأَسْمَائِهِ، وَلِإِحْسَانِهِ، وَلِكُلِّ مَا صَدَرَ مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا.

وَلَا تَتَصَوَّرُ الْقُلُوبُ حَقِيقَةَ نِعْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ؛ فَضْلًا عَنْ أَنْ تَقُومَ بِشُكْرِهِ.

وَلَوِ اسْتَنْفَدَ الْعَبْدُ أَنْفَاسَهُ كُلَّهَا فِي حَمْدِهِ عَلَىٰ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِهِ؛ كَانَ مَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الْحَمْدِ وَمَا يَسْتَحِقُّهُ فَوْقَ ذَلِكَ وَأَضْعَافَهُ، وَلَا يُحْصِي أَحَدٌ الْبَتَّةَ ثَنَاءً عَلَيْهِ بِمَحَامِدِهِ؛ وَلَكِنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ- لِكَرَمِهِ رَضِيَ مِنْ عِبَادِهِ بِالْيَسِيرِ مِنْ شُكْرِهِ وَأَدَاءِ شُكْرِهِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «مِنْ صِفَاتِ اللهِ -تَعَالَىٰ-: الْحَمْدُ» - الْأَرْبِعَاءُ ٩ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٣هـ| ٣٠-٥-٢٠١٢م.

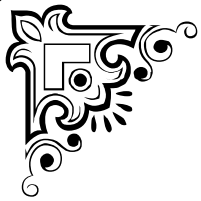
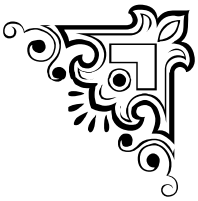

مَعْنَى الْحَمْدِ لُغَةً وَشَرْعًا

مَعْنَىٰ الْحَمْدِ فِي اللُّغَةِ: هُوَ نَقِيضُ الذَّمِّ.

قَالَ ابْنُ فَارِسٍ(١): «الْحَاءُ وَالْمِيمُ وَالدَّالُ (ح م د): كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَأَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَىٰ خِلَافِ الذَّمِّ، يُقَالُ: حَمِدْتُ فُلَانًا أَحْمَدُهُ، وَرَجُلٌ مَحْمُودٌ وَمُحَمَّدٌ إِذَا كَثُرَتْ خِصَالُهُ الْمَحْمُودَةُ غَيْرُ الْمَذْمُومَةِ؛ وَلِهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ سُمِّيَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدًا ﷺ».

وَقَالَ اللَّيْثُ(٢): «أَحْمَدْتُ الرَّجُلَ: وَجَدْتُهُ مَحْمُودًا، وَكَذَلِكَ قَالَ غَيْرُهُ، **يُقَالُ**: أَتَيْنَا فُلَانًا فَأَحْمَدْنَاهُ وَأَذْمَمْنَاهُ، أَيْ: وَجَدْنَاهُ مَحْمُودًا، أَوْ مَذْمُومًا».

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] فِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَىٰ أَنَّهُ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- مَحْمُودٌ فِي أَخْلَاقِهِ وَأَفْعَالِهِ، لَيْسَ فِيهِ مَا يُذَمُّ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، فَمُحَمَّدٌ هَاهُنَا وَإِنْ كَانَ اسْمًا لَهُ، عَلَمًا عَلَيْهِ؛ فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ وَصْفِهِ بِذَلِكَ، وَتَخْصِيصِهِ بِوَافِرِ مَعْنَاهُ، وَأَمَّا سِوَاهُ

---

(١) «مقاييس اللغة» (٢/ ١٠٠) لابن فارس.

(٢) «تهذيب اللغة» للأزهري (٤/ ٤٣٤).

فَقَدْ يُسَمَّىٰ مُحَمَّدًا، وَيَكُونُ لَهُ حَظٌّ مِنَ الْوَصْفِ الَّذِي دَلَّ عَلَىٰ هَذَا الِاسْمِ، وَقَدْ لَا يَكُونُ، أَمَّا الرَّسُولُ ﷺ فَهُوَ مُحَمَّدٌ اسْمًا وَوَصْفًا.

فَالْحَمْدُ: هُوَ الثَّنَاءُ بِالْفَضِيلَةِ.

وَهُوَ أَخَصُّ مِنَ الْمَدْحِ، وَأَعَمُّ مِنَ الشُّكْرِ.

فَالْمَدْحُ يُقَالُ فِيمَا يَكُونُ مِنَ الْإِنْسَانِ بِاخْتِيَارِهِ، وَمِمَّا يَكُونُ مِنْهُ وَفِيهِ بِالتَّسْخِيرِ؛ فَقَدْ يُمْدَحُ الْإِنْسَانُ بِطُولِ قَامَتِهِ، وَصَبَاحَةِ وَجْهِهِ، كَمَا يُمْدَحُ بِبَذْلِ مَالِهِ، وَشَجَاعَتِهِ، وَعِلْمِهِ.

وَالْحَمْدُ يَكُونُ فِي الثَّانِي دُونَ الْأَوَّلِ، أَيْ: إِنَّ الْإِنْسَانَ يُحْمَدُ عَلَىٰ بَذْلِ الْمَالِ، وَالشَّجَاعَةِ، وَالْعِلْمِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَكُونُ مِنْهُ بِاخْتِيَارِهِ، وَلَا يُحْمَدُ عَلَىٰ صَبَاحَةِ الْوَجْهِ، وَطُولِ الْقَامَةِ، وَحُسْنِ الْخِلْقَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ لَهُ فِيهِ اخْتِيَارٌ.

وَالشُّكْرُ لَا يُقَالُ إِلَّا فِي مُقَابَلَةِ نِعْمَةٍ؛ فَكُلُّ شُكْرٍ حَمْدٌ، وَلَيْسَ كُلُّ حَمْدٍ شُكْرًا، وَكُلُّ حَمْدٍ مَدْحٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مَدْحٍ حَمْدًا.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالْمَدْحِ أَنْ يُقَالَ: الْإِخْبَارُ عَنْ مَحَاسِنِ الْغَيْرِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ إِخْبَارًا مُجَرَّدًا مِنْ حُبٍّ وَإِرَادَةٍ، أَوْ مَقْرُونًا بِحُبِّهِ وَإِرَادَتِهِ، فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلَ فَهُوَ الْمَدْحُ، وَإِنْ كَانَ الثَّانِيَ فَهُوَ الْحَمْدُ».

فَالْحَمْدُ: إِخْبَارٌ عَنْ مَحَاسِنِ الْمَمْدُوحِ مَعَ حُبِّهِ، وَإِجْلَالِهِ، وَتَعْظِيمِهِ.

---

(١) «بدائع الفوائد» (٢/ ٩٣).

إِنَّ حَمْدَ اللهِ، وَالثَّنَاءَ عَلَىٰ اللهِ بِذِكْرِ صِفَاتِهِ الْعَظِيمَةِ وَنِعَمِهِ الْعَمِيمَةِ، مَعَ حُبِّهِ، وَتَعْظِيمِهِ، وَإِجْلَالِهِ -وَهُوَ مُخْتَصٌّ بِهِ -سُبْحَانَهُ- لَا يَكُونُ إِلَّا لَهُ؛ فَالْحَمْدُ كُلُّهُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

لِذَلِكَ قَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢] بِـ(لَامِ الْجِنْسِ) الْمُفِيدَةِ لِلِاسْتِغْرَاقِ، فَالْحَمْدُ كُلُّهُ لَهُ؛ إِمَّا مِلْكًا، وَإِمَّا اسْتِحْقَاقًا، فَحَمْدُهُ لِنَفْسِهِ اسْتِحْقَاقٌ، وَحَمْدُ الْعِبَادِ لَهُ، وَحَمْدُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ مِلْكٌ لَهُ، فَالْقَائِلُ إِذَا قَالَ: الْحَمْدُ للهِ؛ تَضَمَّنَ كَلَامُهُ الْخَبَرَ عَنْ كُلِّ مَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ -تَعَالَىٰ- بِاسْمٍ جَامِعٍ مُحِيطٍ مُتَضَمِّنٍ لِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْحَمْدِ الْمُحَقَّقَةِ وَالْمُقَدَّرَةِ، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ إِثْبَاتَ كُلِّ كَلَامٍ يُحْمَدُ عَلَيْهِ الرَّبُّ -تَعَالَىٰ-؛ وَلِهَذَا لَا تَصْلُحُ هَذِهِ اللَّفْظَةُ عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ وَلَا تَنْبَغِي إِلَّا لِمَنْ هَذَا شَأْنُهُ؛ وَهُوَ الْحَمِيدُ الْمَجِيدُ.(*).

وَمِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى: الْحَمِيدُ؛ فَقَدْ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورىٰ: ٢٨].

وَالْحَمِيدُ: صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ عَلَىٰ وَزْنِ فَعِيلٍ، وَالْحَمْدُ نَقِيضُ الذَّمِّ، وَهُوَ أَعَمُّ وَأَصْدَقُ فِي الثَّنَاءِ عَلَىٰ الْمَحْمُودِ مِنَ الْمَدْحِ وَمِنَ الشُّكْرِ، وَهُوَ أَوْسَعُ الصِّفَاتِ وَأَعَمُّ الْمَدَائِحِ، وَيَأْتِي بِمَعْنَىٰ: فَاعِلٍ -أَيْ: حَامِدٍ-، وَبِمَعْنَىٰ: مَفْعُولٍ -أَيْ: مَحْمُودٍ-؛ فَهُوَ -تَعَالَىٰ- حَامِدٌ وَمَحْمُودٌ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ شَرْحِ: «الْوَابِلُ الصَّيِّبُ وَرَافِعُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ: مَعْنَىٰ الْحَمْدِ» (الْمُحَاضَرَة: ٢٣٥)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٥ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٤٢هـ| ٤-٨-٢٠٢١م.

وَأَمَّا الْمَعْنَىٰ الشَّرْعِيُّ لِلْحَمِيدِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا؛ فَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ الْحَمِيدُ، لَهُ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَهُوَ الْحَمِيدُ الَّذِي لَهُ جَمِيعُ الْمَحَامِدِ وَالْمَدَائِحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَهُوَ الْمَحْمُودُ فِي ذَاتِهِ، وَأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ، فَلَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ أَحْسَنُهَا، وَمِنَ الصِّفَاتِ أَكْمَلُهَا، وَمِنَ الْأَفْعَالِ أَتَمُّهَا وَأَحْسَنُهَا؛ فَإِنَّهَا دَائِرَةٌ بَيْنَ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ، لَيْسَ فِيهَا فِعْلٌ خَالٍ عَنِ الْحِكْمَةِ وَالْمَصْلَحَةِ، فَلَا يَجْرِي فِي أَفْعَالِهِ الْغَلَطُ، وَلَا يَعْتَرِضُهُ الْخَطَأُ.

وَهُوَ -تَعَالَىٰ- الْمَحْمُودُ فِي شَرْعِهِ؛ فَإِنَّهُ أَكْمَلُ الشَّرَائِعِ وَأَنْفَعُهَا لِكُلِّ الْخَلَائِقِ؛ لِمَا فِيهَا مِنَ الْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ، وَالرَّحْمَةِ الَّتِي لَا نَظِيرَ لَهَا.

وَهُوَ -تَعَالَىٰ- الْمَحْمُودُ فِي قَضَائِهِ، وَعَلَىٰ أَحْكَامِهِ الْقَدَرِيَّةِ، وَالشَّرْعِيَّةِ، وَالْجَزَائِيَّةِ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ، يُحْمَدُ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهَا كُلَّهَا حَقٌّ وَعَدْلٌ، وَهُدًىٰ وَرُشْدٌ، مُنَزَّهَةٌ عَنِ الشَّرِّ، وَالْعَبَثِ، وَالظُّلْمِ، وَالنَّقْصِ.

وَهُوَ الْمَحْمُودُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَتَعَالِيهِ عَنِ الشَّرِيكِ وَالنَّظِيرِ، وَالْوَلِيِّ مِنَ الذُّلِّ.

وَهُوَ الَّذِي يَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ مَحْمُودًا، فَيَهَبُهُ حَمْدًا مِنْ عِنْدِهِ، فَيَحْمَدُهُ الْخَلْقُ وَيُثْنُونَ عَلَيْهِ، فَمِنْ كَمَالِ حَمْدِهِ يَجِبُ أَلَّا يُنْسَبَ إِلَيْهِ شَرٌّ وَلَا سُوءٌ وَلَا نَقْصٌ فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي أَسْمَائِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ.

وَهُوَ الَّذِي يَحْمَدُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ، فَهُوَ يَصِفُ مَنْ يَسْتَحِقُّ مِنْ عِبَادِهِ الصِّفَاتِ الْكَامِلَةَ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ؛ وَلِهَذَا أَثْنَىٰ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ، وَأَثْنَىٰ عَلَىٰ أَوْلِيَائِهِ.

وَهُوَ الْمَحْمُودُ بِكُلِّ لِسَانٍ، وَعَلَىٰ كُلِّ حَالٍ؛ فَجَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ نَاطِقَةٌ بِحَمْدِهِ -مِنَ الْجَمَادَاتِ وَالنَّاطِقَاتِ- فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ عَلَىٰ آلَائِهِ وَإِنْعَامِهِ، وَعَلَىٰ كَمَالِهِ وَجَلَالِهِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْحَمَّادُونَ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٧هـ| ٤-١٢-٢٠١٥م.

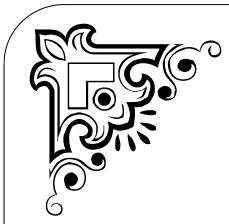

الْحَمْدُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

لَقَدْ وَرَدَ الْحَمْدُ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ فِي أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ مَوْضِعًا، جُمِعَ فِي بَعْضِهَا أَسْبَابُ الْحَمْدِ، وَفِي بَعْضِهَا ذُكِرَتْ أَسْبَابُهُ مُفَصَّلَةً.

فَمِنَ الْآيَاتِ الَّتِي جُمِعَ فِيهَا أَسْبَابُ الْحَمْدِ: قَوْلُهُ جَلَّوَعَلَا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢].

«﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: هُوَ الثَّنَاءُ عَلَىٰ اللهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَبِأَفْعَالِهِ الدَّائِرَةِ بَيْنَ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ؛ فَلَهُ الْحَمْدُ الْكَامِلُ بِجَمِيعِ الْوُجُوهِ.

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ الرَّبُّ: هُوَ الْمُرَبِّي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ -وَهُمْ مَنْ سِوَىٰ اللهِ- بِخَلْقِهِ إِيَّاهُمْ، وَإِعْدَادِهِ لَهُمُ الْآلَاتِ، وَإِنْعَامِهِ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي لَوْ فَقَدُوهَا لَمْ يُمْكِنْ لَهُمُ الْبَقَاءُ؛ فَمَا بِهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْهُ -تَعَالَىٰ-»[(١)].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠].

«اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَحْدَهُ الْمَعْبُودُ الْمَحْمُودُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَىٰ مَا لَهُ مِنْ صِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ، وَعَلَىٰ مَا أَسْدَاهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ مِنَ الْإِحْسَانِ وَالْإِفْضَالِ»[(٢)].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٢٧).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٧٣٠).

وَأَمَّا الْآيَاتُ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا أَسْبَابُ الْحَمْدِ مُفَصَّلَةً؛ فَمِنْهَا: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

فَفِيهَا حَمْدُهُ عَلَىٰ نِعْمَةِ دُخُولِ الْجَنَّةِ.

«نِعْمَ الرَّبُّ الْكَرِيمُ الَّذِي ابْتَدَأْنَا بِالنِّعَمِ، وَأَسْدَىٰ مِنَ النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ مَا لَا يُحْصِيهِ الْمُحْصُونَ وَلَا يَعُدُّهُ الْعَادُّونَ، ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ أَيْ: لَيْسَ فِي نُفُوسِنَا قَابِلِيَّةٌ لِلْهُدَىٰ لَوْلَا أَنَّهُ -تَعَالَىٰ- مَنَّ بِهِدَايَتِهِ وَاتِّبَاعِ رُسُلِهِ»(١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المؤمنون: ٢٨].

فَفِيهَا حَمْدُهُ عَلَىٰ النَّصْرِ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ، وَالسَّلَامَةِ مِنْ شَرِّهِمْ.

وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فَفِيهَا حَمْدُهُ عَلَىٰ نِعْمَةِ التَّوْحِيدِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ للهِ جَلَّ وَعَلَا.

«﴿فَٱدْعُوهُ﴾: وَهَذَا شَامِلٌ لِدُعَاءِ الْعِبَادَةِ، وَدُعَاءِ الْمَسْأَلَةِ ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ﴾ أَيِ: اقْصُدُوا بِكُلِّ عِبَادَةٍ وَدُعَاءٍ وَعَمَلٍ وَجْهَ اللهِ -تَعَالَىٰ-؛ فَإِنَّ الْإِخْلَاصَ هُوَ الْمَأْمُورُ بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ أَيْ: جَمِيعُ الْمَحَامِدِ وَالْمَدَائِحِ وَالثَّنَاءِ بِالْقَوْلِ

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٣٢٥).

-كَنُطْقِ الْخَلْقِ بِذِكْرِهِ-، وَالْفِعْلِ -كَعِبَادَتِهِمْ لَهُ-؛ كُلُّ ذَلِكَ لِلَّهِ -تَعَالَىٰ- وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ لِكَمَالِهِ فِي أَوْصَافِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَتَمَامِ نِعَمِهِ»(١).

فَهَذِهِ بَعْضُ الْأَسْبَابِ الْمُفَصَّلَةِ.

وَقَدِ افْتَتَحَ -سُبْحَانَهُ- كِتَابَهُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ بِالْحَمْدِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢].

وَافْتَتَحَ بَعْضَ السُّوَرِ فِيهِ بِالْحَمْدِ، فَقَالَ فِي أَوَّلِ الْأَنْعَامِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١].

وَقَالَ فِي أَوَّلِ الْكَهْفِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١﴾ [الكهف: ١].

وَقَالَ فِي أَوَّلِ سَبَأٍ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾ [سبأ: ١].

وَقَالَ فِي أَوَّلِ فَاطِرٍ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [فاطر: ١].

وَافْتَتَحَ خَلْقَهُ بِالْحَمْدِ فَقَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ﴾ [الأنعام: ١].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٨٧٣).

وَاخْتَتَمَ الْخَلْقَ بِالْحَمْدِ فَقَالَ بَعْدَمَا ذَكَرَ مَآلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر: ٧٥].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ٩-١٠].

فَالْحَمْدُ لَهُ -سُبْحَانَهُ- أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ -أَيْ: فِي جَمِيعِ مَا خَلَقَ وَمَا هُوَ خَالِقٌ-، كَمَا قَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص: ٧٠].

وَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْآخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سبأ: ١].

وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- الْمَحْمُودُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، كَمَا يَقُولُ الْمُصَلِّي: «**اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**»(١).

فَهَذِهِ النُّصُوصُ كُلُّهَا دَالَّةٌ عَلَىٰ شُمُولِ حَمْدِهِ -سُبْحَانَهُ- لِخَلْقِهِ وَأَمْرِهِ؛ فَهُوَ -سُبْحَانَهُ- حَمِدَ نَفْسَهُ فِي أَوَّلِ الْخَلْقِ وَآخِرِهِ، وَعِنْدَ الْأَمْرِ وَالشَّرْعِ، وَحَمِدَ نَفْسَهُ عَلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ لِلْعَالَمِينَ، وَحَمِدَ نَفْسَهُ عَلَىٰ تَفَرُّدِهِ بِالْإِلَهِيَّةِ، وَعَلَىٰ حَيَاتِهِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٧٨) من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَحَمِدَ نَفْسَهُ عَلَىٰ امْتِنَاعِ اتِّصَافِهِ بِمَا لَا يَلِيقُ بِكَمَالِهِ؛ مِنِ اتِّخَاذِ الْوَلَدِ وَالشَّرِيكِ، وَمُوَالَاةِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ، ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: ١١١].

وَحَمِدَ نَفْسَهُ عَلَىٰ عُلُوِّهِ وَكِبْرِيَائِهِ، كَمَا قَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

«﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ أَيْ: لَهُ الْحَمْدُ عَلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ لِسَائِرِ الْخَلَائِقِ؛ حَيْثُ خَلَقَهُمْ، وَرَبَّاهُمْ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالنِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ أَيْ: لَهُ الْجَلَالُ وَالْعَظَمَةُ وَالْمَجْدُ.

فَالْحَمْدُ فِيهِ الثَّنَاءُ عَلَىٰ اللهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَمَحَبَّتُهُ -تَعَالَىٰ-، وَإِكْرَامُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ فِيهَا عَظَمَتُهُ وَجَلَالُهُ، وَالْعِبَادَةُ مَبْنِيَّةٌ عَلَىٰ رُكْنَيْنِ: مَحَبَّةِ اللهِ، وَالذُّلِّ لَهُ، وَهُمَا نَاشِئَانِ عَنِ الْعِلْمِ بِمَحَامِدِ اللهِ وَجَلَالِهِ وَكِبْرِيَائِهِ.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الْقَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ، ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ الَّذِي يَضَعُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا، فَلَا يُشَرِّعُ مَا يُشَرِّعُهُ إِلَّا لِحِكْمَةٍ وَمَصْلَحَةٍ، وَلَا يَخْلُقُ مَا يَخْلُقُهُ إِلَّا لِفَائِدَةٍ وَمَنْفَعَةٍ»(١).

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٩١٨).

وَحَمِدَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَفْسَهُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ، وَأَخْبَرَ عَنْ سَرَيَانِ حَمْدِهِ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالْعَالَمِ السُّفْلِيِّ، وَنَبَّهَ عَلَىٰ هَذَا كُلِّهِ فِي كِتَابِهِ فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ تَدُلُّ عَلَىٰ تَنَوُّعِ حَمْدِهِ -سُبْحَانَهُ-، وَتَعَدُّدِ أَسْبَابِ حَمْدِهِ، وَقَدْ جَمَعَهَا اللهُ فِي مَوَاطِنَ مِنْ كِتَابِهِ، وَفَرَّقَهَا فِي مَوَاطِنَ أُخْرَىٰ؛ لِيَتَعَرَّفَ إِلَيْهِ عِبَادُهُ، وَلِيَعْرِفُوا كَيْفَ يَحْمَدُونَهُ، وَكَيْفَ يُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَلِيَتَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ، وَيُحِبَّهُمْ إِذَا عَرَفُوهُ، وَأَحَبُّوهُ، وَحَمِدُوهُ.

وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ حَمْدٌ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَثَنَاءٌ عَلَيْهِ؛ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَعَلَىٰ قَدَرِهِ، وَعَلَىٰ أَمْرِهِ وَشَرْعِهِ.

وَاللهُ ﷻ أَعْظَمَ لَنَا الْمِنَّةَ، وَأَجْزَلَ لَنَا الْعَطِيَّةَ عِنْدَمَا عَلَّمَنَا كَيْفَ نَحْمَدُهُ، وَلَوْلَا أَنْ عَلَّمَنَا مَا عَلِمْنَا، وَلَوْلَا أَنْ هَدَانَا مَا اهْتَدَيْنَا، وَعَلِمَ عَجْزَنَا وَقُصُورَنَا عَنْ إِيفَائِهِ حَقَّهُ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، فَحَمِدَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ فَقَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢].(*).

وَأَمَّا سُنَّةُ نَبِيِّنَا ﷺ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَاحِبُ لِوَاءِ الْحَمْدِ، وَهِيَ مَفْخَرَةٌ عُظْمَىٰ وَمَكَانَةٌ جُلَّىٰ حَظِيَ بِهَا -صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-.

فِي «التِّرْمِذِيِّ»(٢) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرَ**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْحَمَّادُونَ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٧هـ| ٤-١٢-٢٠١٥م.

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (٣١٤٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣١٤٨).

لَمَّا كَانَ أَحْمَدَ الْخَلَائِقِ للهِ، وَأَكْمَلَهُمْ قِيَامًا بِحَمْدِهِ؛ أُعْطِيَ لِوَاءَ الْحَمْدِ؛ لِيَأْوِيَ إِلَىٰ لِوَائِهِ الْحَامِدُونَ الْحَمَّادُونَ للهِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

وَإِلَىٰ هَذَا أَشَارَ ﷺ كَمَا قَالَ: «**وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي**».

وَهُوَ لِوَاءٌ حَقِيقِيٌّ يَحْمِلُهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِيَدِهِ، يَنْضَوِي تَحْتَهُ وَيَنْضَمُّ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْحَمَّادِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَأَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلَىٰ لِوَائِهِ أَكْثَرُهُمْ حَمْدًا للهِ، وَذِكْرًا لَهُ، وَقِيَامًا بِأَمْرِهِ، وَأُمَّتُهُ ﷺ خَيْرُ الْأُمَمِ، وَهُمُ الْحَمَّادُونَ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللهَ جَلَّوَعَلَا عَلَىٰ السَّرَّاءِ وَعَلَىٰ الضَّرَّاءِ.

وَجَاءَ فِي أَثَرٍ يُرْوَىٰ عَنْ كَعْبٍ قَالَ: «**نَجِدُهُ مَكْتُوبًا: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ، لَا فَظٌّ وَلَا غَلِيظٌ، وَلَا صَخَّابٌ بِالْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، لَكِنَّهُ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَأُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ، يُكَبِّرُونَ اللهَ ﷻ عَلَىٰ كُلِّ نَجْدٍ، وَيَحْمَدُونَه فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ**». رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ فِي «الْمُقَدِّمَةِ»(١).

وَفِي الْجَنَّةِ بَيْتٌ يُقَالُ لَهُ «بَيْتُ الْحَمْدِ»، خُصَّ بِالَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَيَصْبِرُونَ عَلَىٰ مُرِّ الْقَضَاءِ.

رَوَىٰ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ(٢) عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) أخرجه الدارمي (ص ١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٨٦) وغيرهما، عن كعب، وهو مرسل صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (١٠٢١)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٠٢١).

«إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ.

فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ.

فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟

فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ.

فَيَقُولُ اللهُ -تَعَالَىٰ-: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ».

فَهَذَا حَمْدٌ للهِ عَلَىٰ الضَّرَّاءِ، لَمَّا أَتَوْا بِهِ نَالُوا بِحَمْدِهِمُ الرُّتْبَةَ الْعَالِيَةَ.(*).

«وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ»(٢).

رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللهِ، فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَيْهَا، وَلْيُحَدِّثْ بِهَا، وَإِذَا رَأَىٰ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلَا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ؛

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْحَمَّادُونَ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٧هـ| ٤-١٢-٢٠١٥م.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٣٧).

فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ** ﷻ -**وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ**-: «**مَا يَقُولُ عِبَادِي؟**».

قَالَ: تَقُولُ: «يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ».

قَالَ: فَيَقُولُ: «**هَلْ رَأَوْنِي؟**».

قَالَ: فَيَقُولُونَ: «لَا وَاللهِ! مَا رَأَوْكَ».

قَالَ: فَيَقُولُ: «**كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟**».

قَالَ: يَقُولُونَ: «لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا».

قَالَ: يَقُولُ: «**فَمَا يَسْأَلُونِي؟**».

قَالَ: يَقُولُونَ: «يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ».

قَالَ: يَقُولُ: «**وَهَلْ رَأَوْهَا؟**».

قَالَ: يَقُولُونَ: «لَا وَاللهِ! يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا».

قَالَ: فَيَقُولُ: «**فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟**».

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٤)، ومسلم (٢٢٦١).

قَالَ: يَقُولُونَ: «لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً».

قَالَ: «**فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟**».

قَالَ: يَقُولُونَ: «مِنَ النَّارِ».

قَالَ: يَقُولُ: «**وَهَلْ رَأَوْهَا؟**».

قَالَ: فَيَقُولُونَ: «لَا وَاللهِ! يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا».

قَالَ: يَقُولُ: «**فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟**».

قَالَ: يَقُولُونَ: «لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً».

قَالَ: فَيَقُولُ: «**فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ**».

قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: «فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ».

قَالَ: «**هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَىٰ جَلِيسُهُمْ**»(١). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ**».

قَالُوا: «فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟».

قَالَ: «**جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٨).

يُلْهَمُونَ النَّفَسَ»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه **قَالَ**: «إِنَّ فَاطِمَةَ اشْتَكَتْ مَا تَلْقَىٰ مِنَ الرَّحَىٰ فِي يَدِهَا، وَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، وَلَقِيَتْ عَائِشَةَ، فَأَخْبَرَتْهَا.

فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ إِلَيْهَا، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْنَا نَقُومُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَىٰ مَكَانِكُمَا**»، فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّىٰ وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِهِ عَلَىٰ صَدْرِي، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا: أَنْ تُكَبِّرَا اللهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ؛ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**»(٢). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ؟**».

قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ».

فَقَالَ: «**إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»(٣). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيًّا أُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ قَالَ: «**بِسْمِ اللهِ ثَلَاثًا، فَلَمَّا اسْتَوَىٰ عَلَىٰ ظَهْرِهَا قَالَ: الْحَمْدُ للهِ،**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٣١).

ثُمَّ قَالَ: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾، **ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ ثَلَاثًا، وَاللهُ أَكْبَرُ ثَلَاثًا، سُبْحَانَكَ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»**، ثُمَّ ضَحِكَ.

قُلْتُ: «مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟».

قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَنَعَ كَمَا صَنَعْتُ، ثُمَّ ضَحِكَ، فَقُلْتُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟».

قَالَ: «**إِنَّ رَبَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي؛ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي**»(١). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلَامًا أَقُولُهُ».

قَالَ: «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ للهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**».

قَالَ: «فَهَؤُلَاءِ لِرَبِّي؛ فَمَا لِي؟».

قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي**»(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٠٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٦٠٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٦).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللهِ! عَلِّمْنِي كَلِمَاتٍ أَدْعُو بِهِنَّ فِي صَلَاتِي».

قَالَ: «**سَبِّحِي اللهَ عَشْرًا، وَاحْمَدِيهِ عَشْرًا، وَكَبِّرِيهِ عَشْرًا، ثُمَّ سَلِيهِ حَاجَتَكِ يَقُلْ: نَعَمْ، نَعَمْ**»(١). رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: «ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَىٰ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ؛ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلُ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ».

قَالَ: «**أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِمَا إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ؟ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ**».

فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَنَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «**تَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ حَتَّىٰ يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلَاثًا وَثَلَاثُونَ**»(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَجِبْتُ مِنْ قَضَاءِ اللهِ ﷻ لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ حَمِدَ رَبَّهُ وَشَكَرَ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ حَمِدَ رَبَّهُ وَصَبَرَ، الْمُؤْمِنُ يُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ حَتَّىٰ فِي اللُّقْمَةِ يَرْفَعُهَا إِلَىٰ**

---

(١) أخرجه النسائي (١٢٩٨)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (١٢٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥).

فِي امْرَأَتِهِ»(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ شَاكِرٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**»(٢). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَالِسًا، -يَعْنِي: وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي-، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ وَتَشَهَّدَ دَعَا فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟**».

قَالُوا: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**»(٣). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**»(٤). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٩)، وصححه الشيخ شاكر رحمه الله.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٨٢).

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٤٩٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٩٥).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَقْرِأْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ**»(١). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ؛ إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَاهُ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ**»(٢). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٣). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ للهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا؛ اسْتُجِيبَ، فَإِنْ تَوَضَّأَ قُبِلَتْ صَلَاتُهُ**»(٤). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢) واللفظ له، والطبراني (١٠/ ٢١٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٤٦٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٠٨٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٢٣)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٠٢٣).

(٤) أخرجه البخاري (١١٥٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ؛ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ**»(١). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ؛ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ**»(٢). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**»(٣). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مِرَارٍ؛ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ**»(٤). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٣٣) واللفظ له، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٢٣٠)، وأحمد (١٠٤١٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٤٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٦٤) واللفظ له، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٦٦٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٤٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١).

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣).

وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ كَانَتْ لَهُ عِدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ؛ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَىٰ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاءِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّىٰ الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْوَسَخِ**»(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ مُعَاذٍ: «**كَمَا يُنَقَّىٰ الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّرَنِ**».

وَفِي رِوَايَةٍ يَزِيدَ: «**مِنَ الدَّنَسِ**».

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ قَالَ: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا؛ فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِي**»(٣). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا قَامَ يَتَهَجَّدُ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٤٧٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧١٥).

قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالْبَعْثُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ؛ فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ جُوَيْرِيَةَ رضي الله عنها **قَالَتْ**: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّىٰ الصُّبْحِ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَىٰ وَهِيَ جَالِسَةٌ.

فَقَالَ: «**مَا زِلْتِ عَلَىٰ الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟**».

قَالَتْ: «نَعَمْ».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمَ لَوَزَنَتْهُنَّ؛ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ»(٣).

(١) أخرجه البخاري (١١٢٠) واللفظ له، ومسلم (٧٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٦).

(٣) «نضرة النعيم» (٥/ ١٧٦٧-١٧٧٦).

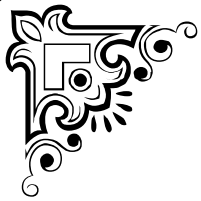
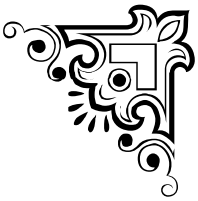

الْحَمْدُ أَوْسَعُ الصِّفَاتِ وَأَعَمُّ الْمَدَائِحِ

الْحَمْدُ الَّذِي هُوَ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ مَحَبَّةِ اللهِ جَلَّوَعَلَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَحَصَّلَ عَلَيْهِ الْمَرْءُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتِ الْعُلَىٰ.

«وَالْحَمْدُ أَوْسَعُ الصِّفَاتِ وَأَعَمُّ الْمَدَائِحِ، وَالطُّرُقُ إِلَىٰ الْعِلْمِ بِهِ فِي غَايَةِ الْكَثْرَةِ، وَالسَّبِيلُ إِلَىٰ اعْتِبَارِهِ فِي ذَرَّاتِ الْعَالَمِ وَجُزْئِيَّاتِهِ، وَتَفَاصِيلُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَاسِعَةٌ جِدًّا؛ لِأَنَّ جَمِيعَ أَسْمَائِهِ -تَعَالَىٰ- حَمْدٌ، وَجَمِيعَ صِفَاتِهِ حَمْدٌ، كَمَا أَنَّ أَفْعَالَهُ حَمْدٌ، وَأَحْكَامَهُ حَمْدٌ، وَعَدْلَهُ حَمْدٌ، وَانْتِقَامَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ حَمْدٌ، وَفَضْلَهُ فِي إِحْسَانِهِ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِ حَمْدٌ، فَكَمَا أَنَّ الْخَلْقَ وَالْأَمْرَ إِنَّمَا قَامَ بِحَمْدِهِ، وَوُجِدَ بِحَمْدِهِ، وَظَهَرَ بِحَمْدِهِ، وَكَانَتِ الْغَايَةُ هِيَ حَمْدَهُ؛ فَحَمْدُهُ سَبَبُ ذَلِكَ، وَغَايَتُهُ، وَمَظْهَرُهُ، وَحَامِلُهُ؛ فَحَمْدُهُ -تَعَالَىٰ- رُوحُ كُلِّ شَيْءٍ، وَقِيَامُ كُلِّ شَيْءٍ بِحَمْدِهِ، وَسَرَيَانُ حَمْدِهِ فِي الْمَوْجُودَاتِ وَظُهُورُ آثَارِهِ فِيهَا أَمْرٌ مَشْهُودٌ بِالْأَبْصَارِ وَالْبَصَائِرِ.

فَمِنَ الطُّرُقِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ شُمُولِ مَعْنَىٰ الْحَمْدِ وَانْبِسَاطِهِ عَلَىٰ جَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ: مَعْرِفَةُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَإِقْرَارُ الْعَبْدِ بِأَنَّ لِلْعَالَمِ إِلَهًا حَيًّا جَامِعًا لِكُلِّ صِفَةِ كَمَالٍ، وَاسْمِ حَسَنٍ، وَثَنَاءٍ جَمِيلٍ، وَفِعْلٍ كَرِيمٍ، وَأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- لَهُ الْقُدْرَةُ التَّامَّةُ، وَالْمَشِيئَةُ النَّافِذَةُ، وَالْعِلْمُ الْمُحِيطُ، وَالسَّمْعُ الَّذِي وَسِعَ الْأَصْوَاتَ،

وَالْبَصَرُ الَّذِي أَحَاطَ بِجَمِيعِ الْمُبْصَرَاتِ، وَالرَّحْمَةُ الَّتِي وَسِعَتْ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَالْمُلْكُ الْأَعْلَىٰ الَّذِي لَا يَخْرُجُ عَنْهُ ذَرَّةٌ مِنَ الذَّرَّاتِ، وَالْغِنَىٰ التَّامُّ الْمُطْلَقُ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ، وَالْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ الْمَشْهُودُ آثَارُهَا فِي الْكَائِنَاتِ، وَالْعِزَّةُ الْغَالِبَةُ بِجَمِيعِ الْوُجُوهِ وَالِاعْتِبَارَاتِ، وَالْكَلِمَاتُ التَّامَّاتُ النَّافِذَاتُ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ جَمِيعِ الْبَرِيَّاتِ، وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَلَا فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، وَلَيْسَ لَهُ مَنْ يَشْرَكُهُ فِي ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ مُلْكِهِ، أَوْ يَخْلُفُهُ فِي تَدْبِيرِ خَلْقِهِ، أَوْ يَحْجُبُهُ عَنْ دَاعِيهِ وَمُؤَمِّلِيهِ وَسَائِلِيهِ، أَوْ يَتَوَسَّطُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ بِتَلْبِيسٍ أَوْ فِرْيَةٍ أَوْ كَذِبٍ كَمَا يَكُونُ بَيْنَ الرَّعَايَا وَبَيْنَ الْمُلُوكِ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَفَسَدَ نِظَامُ الْوُجُودِ، وَفَسَدَ الْعَالَمُ بِأَسْرِهِ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

فَلَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ أُخْرَىٰ كَمَا يَقُولُ أَعْدَاؤُهُ الْمُبْطِلُونَ؛ لَوَقَعَ مِنَ النَّقْصِ فِي التَّدْبِيرِ وَفَسَادِ الْأَمْرِ كُلِّهِ مَا لَا يَثْبُتُ مَعَهُ حَالٌ، وَلَا يَصْلُحُ عَلَيْهِ وُجُودٌ.

وَمِنْ أَعْظَمِ نِعَمِهِ عَلَيْنَا، وَمَا اسْتَوْجَبَ حَمْدَ عِبَادِهِ لَهُ: أَنْ جَعَلَنَا عَبِيدًا لَهُ خَاصَّةً، وَلَمْ يَجْعَلْنَا رَبُّنَا مُنْقَسِمِينَ بَيْنَ شُرَكَاءَ مُتَشَاكِسِينَ.

وَاللهُ -سُبْحَانَهُ- لِكَمَالِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ مَوْصُوفٌ بِكُلِّ صِفَةِ كَمَالٍ، مَنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، لَهُ كُلُّ ثَنَاءٍ حَسَنٍ، وَلَا يَصْدُرُ عَنْهُ إِلَّا كُلُّ فِعْلٍ جَمِيلٍ، وَلَا يُسَمَّىٰ إِلَّا بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ، وَلَا يُثْنَىٰ عَلَيْهِ إِلَّا بِأَكْمَلِ الثَّنَاءِ، وَهُوَ الْمَحْمُودُ الْمَحْبُوبُ الْمُعَظَّمُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ عَلَىٰ كُلِّ مَا قَدَّرَهُ وَخَلَقَهُ، وَعَلَىٰ كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ وَشَرَعَهُ.

وَمَنْ كَانَ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ مَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ، وَاسْتِقْرَارِ آثَارِهَا فِي الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ؛ رَأَىٰ الْخَلْقَ وَالْأَمْرَ مُنْتَظِمَيْنِ بِهَا أَكْمَلَ انْتِظَامٍ، وَرَأَىٰ سَرَيَانَ آثَارِهَا فِيهِمَا، وَعَلِمَ بِحَسَبِ مَعْرِفَتِهِ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مَا يَلِيقُ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَمَا لَا يَلِيقُ، فَاسْتَدَلَّ بِأَسْمَائِهِ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُهُ وَمَا لَا يَفْعَلُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَفْعَلُ خِلَافَ مُوجَبِ حَمْدِهِ وَحِكْمَتِهِ.

وَكَذَلِكَ يَعْلَمُ مَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَأْمُرَ بِهِ وَيُشَرِّعَهُ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، فَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَأْمُرُ بِخِلَافِ مُوجَبِ حَمْدِهِ وَحِكْمَتِهِ، فَإِذَا رَأَىٰ بَعْضَ الْأَحْكَامِ جَوْرًا وَظُلْمًا، أَوْ سَفَهًا وَعَبَثًا وَمَفْسَدَةً، أَوْ مَا لَا يُوجِبُ حَمْدًا وَثَنَاءً؛ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحْكَامِهِ وَلَا دِينِهِ، وَأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْهُ وَرَسُولَهُ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَمَرَ بِالْعَدْلِ لَا بِالظُّلْمِ، وَبِالْمَصْلَحَةِ لَا بِالْمَفْسَدَةِ، وَبِالْحِكْمَةِ لَا بِالْعَبَثِ وَالسَّفَهِ، وَإِنَّمَا بَعَثَ رَسُولَهُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ، لَا بِالْغِلْظَةِ وَالشِّدَّةِ، وَبَعَثَهُ بِالرَّحْمَةِ لَا بِالْقَسْوَةِ؛ فَإِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَرَسُولُهُ رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ إِلَىٰ الْعَالَمِينَ، وَدِينُهُ كُلُّهُ رَحْمَةٌ، وَهُوَ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَأُمَّتُهُ الْأُمَّةُ الْمَرْحُومَةُ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مُوجَبُ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ، وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا، وَأَفْعَالِهِ الْحَمِيدَةِ، فَلَا يُخْبَرُ عَنْهُ إِلَّا بِحَمْدِهِ، وَلَا يُثْنَىٰ عَلَيْهِ إِلَّا بِأَحْسَنِ الثَّنَاءِ، كَمَا لَا يُسَمَّىٰ إِلَّا بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ.

وَقَدْ نَبَّهَ -سُبْحَانَهُ- عَلَىٰ شُمُولِ حَمْدِهِ لِخَلْقِهِ وَأَمْرِهِ؛ بِأَنْ حَمِدَ نَفْسَهُ فِي أَوَّلِ الْخَلْقِ وَآخِرِهِ، وَعِنْدَ الْأَمْرِ وَالشَّرْعِ، وَحَمِدَ نَفْسَهُ عَلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ لِلْعَالَمِينَ، وَحَمِدَ نَفْسَهُ عَلَىٰ تَفَرُّدِهِ بِالْإِلَهِيَّةِ، وَعَلَىٰ حَيَاتِهِ، وَحَمِدَ نَفْسَهُ عَلَىٰ امْتِنَاعِ اتِّصَافِهِ بِمَا لَا يَلِيقُ بِكَمَالِهِ؛ مِنِ اتِّخَاذِ الْوَلَدِ، وَالشَّرِيكِ، وَمُوَالَاةِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ،

وَحَمِدَ نَفْسَهُ عَلَىٰ عُلُوِّهِ وَكِبْرِيَائِهِ، وَحَمِدَ نَفْسَهُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ، وَأَخْبَرَ عَنْ سَرَيَانِ حَمْدِهِ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالْعَالَمِ السُّفْلِيِّ.

وَنَبَّهَ عَلَىٰ هَذَا كُلِّهِ فِي كِتَابِهِ، وَحَمِدَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ، فَنَوَّعَ حَمْدَهُ وَأَسْبَابَ حَمْدِهِ، وَجَمَعَهَا تَارَةً، وَفَرَّقَهَا أُخْرَىٰ؛ لِيَتَعَرَّفَ إِلَىٰ عِبَادِهِ، وَلِيُعَرِّفَهُمْ كَيْفَ يَحْمَدُونَهُ، وَكَيْفَ يُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَلِيَتَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ، وَيُحِبَّهُمْ إِذَا عَرَفُوهُ، وَأَحَبُّوهُ، وَحَمِدُوهُ.

قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٢-٤].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾ [الكهف: ١-٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾ [سبأ: ١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [فاطر: ١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص: ٧٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم: ١٧-١٨].

وَأَخْبَرَ عَنْ حَمْدِ خَلْقِهِ لَهُ بَعْدَ فَصْلِهِ بَيْنَهُمْ، وَبَعْدَ الْحُكْمِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ بِثَوَابِهِ وَكَرَامَتِهِ، وَالْحُكْمِ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ بِعِقَابِهِ وَإِهَانَتِهِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر: ٧٥].

وَأَخْبَرَ عَنْ حَمْدِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَهُ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا بِحَمْدِهِ، كَمَا أَنَّ أَهْلَ النَّارِ لَمْ يَدْخُلُوا النَّارَ إِلَّا بِحَمْدِهِ، فَقَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وَ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ١٠].

وَقَالَ -تَعَالَىٰ- عَنْ أَهْلِ النَّارِ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [القصص: ٧٤-٧٥].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [المُلك: ١١].

وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ وَبِالظُّلْمِ، وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ فِي الدُّنْيَا، مُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، مُشْرِكِينَ بِهِ، جَاحِدِينَ لِإِلَهِيَّتِهِ، مُفْتَرِينَ عَلَيْهِ، وَهَذَا اعْتِرَافٌ مِنْهُمْ بِعَدْلِهِ فِيهِمْ، وَأَخْذِهِمْ بِبَعْضِ حَقِّهِ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا دَخَلُوا النَّارَ بِعَدْلِهِ وَحَمْدِهِ، وَإِنَّمَا عُوقِبُوا بِأَفْعَالِهِمْ، وَبِمَا كَانُوا قَادِرِينَ عَلَىٰ فِعْلِهِ وَتَرْكِهِ، لَا كَمَا تَقُولُ الْجَبْرِيَّةُ.

وَتَفْصِيلُ هَذِهِ الْحِكْمَةِ مِمَّا لَا سَبِيلَ لِلْعُقُولِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَىٰ الْإِحَاطَةِ بِهِ، وَلَا إِلَىٰ التَّعْبِيرِ عَنْهُ، وَلَكِنْ بِالْجُمْلَةِ؛ فَكُلُّ صِفَةٍ عُلْيَا، وَاسْمٍ حَسَنٍ، وَثَنَاءٍ جَمِيلٍ، وَكُلُّ حَمْدٍ وَمَدْحٍ، وَتَسْبِيحٍ وَتَنْزِيهٍ وَتَقْدِيسٍ، وَجَلَالٍ وَإِكْرَامٍ فَهُوَ للهِ ﷻ عَلَىٰ أَكْمَلِ الْوُجُوهِ وَأَتَمِّهَا وَأَدْوَمِهَا، وَجَمِيعُ مَا يُوصَفُ بِهِ، وَيُذْكَرُ بِهِ، وَيُخْبَرُ عَنْهُ بِهِ فَهُوَ مَحَامِدُ لَهُ وَثَنَاءٌ، وَتَسْبِيحٌ وَتَقْدِيسٌ؛ فَسُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ، لَا يُحْصِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ ثَنَاءً عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ كَمَا أَثْنَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَفَوْقَ مَا يُثْنِي بِهِ عَلَيْهِ خَلْقُهُ؛ فَلَهُ الْحَمْدُ أَوَّلًا وَآخِرًا، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يَنْبَغِي لِكَرَمِ وَجْهِهِ، وَعِزِّ جَلَالِهِ، وَرَفِيعِ مَجْدِهِ، وَعُلُوِّ جَدِّهِ.

فَهَذَا تَنْبِيهٌ عَلَىٰ أَحَدِ نَوْعَيْ حَمْدِهِ، وَهُوَ: «**حَمْدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ**».

وَالنَّوْعُ الثَّانِي: «**حَمْدُ النِّعَمِ وَالْآلَاءِ**»: وَهَذَا مَشْهُودٌ لِلْخَلِيقَةِ؛ بَرِّهَا وَفَاجِرِهَا، مُؤْمِنِهَا وَكَافِرِهَا؛ مِنْ جَزِيلِ مَوَاهِبِهِ، وَسَعَةِ عَطَايَاهُ، وَكَرِيمِ أَيَادِيهِ، وَجَمِيلِ صَنَائِعِهِ، وَحُسْنِ مُعَامَلَتِهِ لِعِبَادِهِ، وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ لَهُمْ، وَبِرِّهِ وَلُطْفِهِ وَحَنَانِهِ، وَإِجَابَتِهِ لِدَعَوَاتِ الْمُضْطَرِّينَ، وَكَشْفِ كُرُبَاتِ الْمَكْرُوبِينَ، وَإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِينَ، وَرَحْمَتِهِ لِلْعَالَمِينَ، وَابْتِدَائِهِ بِالنِّعَمِ قَبْلَ السُّؤَالِ وَمِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ؛ بَلِ ابْتِدَاءً مِنْهُ بِمُجَرَّدِ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ

وَإِحْسَانِهِ، وَدَفْعِ الْمِحَنِ وَالْبَلَايَا بَعْدَ انْعِقَادِ أَسْبَابِهَا، وَصَرْفِهَا بَعْدَ وُقُوعِهَا، وَلُطْفِهِ -تَعَالَىٰ- فِي ذَلِكَ بِإِيصَالِهِ إِلَىٰ مَنْ أَرَادَهُ بِأَحْسَنِ الْأَلْطَافِ، وَتَبْلِيغِهِ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ مَا لَا تَبْلُغُهُ الْآمَالُ، وَهِدَايَتِهِ خَاصَّتَهُ وَعِبَادَهُ إِلَىٰ سُبُلِ دَارِ السَّلَامِ، وَمُدَافَعَتِهِ عَنْهُمْ أَحْسَنَ الدِّفَاعِ، وَحِمَايَتِهِمْ عَنْ مَرَاتِعِ الْآثَامِ.

وَحَبَّبَ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ، وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَكَرَّهَ إِلَيْهِمُ الْكُفْرَ، وَالْفُسُوقَ، وَالْعِصْيَانَ، وَجَعَلَهُمْ مِنَ الرَّاشِدِينَ، وَكَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ، وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ، وَسَمَّاهُمُ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَذَكَرَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَذْكُرُوهُ، وَأَعْطَاهُمْ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلُوهُ، وَتَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ بِنِعَمِهِ مَعَ غِنَاهُ عَنْهُمْ، وَتَبَغُّضِهِمْ إِلَيْهِ بِالْمَعَاصِي، وَفَقْرِهِمْ إِلَيْهِ.

وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ فَاتَّخَذَ لَهُمْ دَارًا، وَأَعَدَّ لَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ، وَمَلَأَهَا مِنْ جَمِيعِ الْخَيْرَاتِ، وَأَوْدَعَهَا مِنَ النَّعِيمِ وَالْحَبْرَةِ، وَالسُّرُورِ وَالْبَهْجَةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ.

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ يَدْعُونَهُمْ إِلَيْهَا، ثُمَّ يَسَّرَ لَهُمُ الْأَسْبَابَ الَّتِي تُوصِلُهُمْ إِلَيْهَا، وَأَعَانَهُمْ عَلَيْهَا، وَرَضِيَ مِنْهُمْ بِالْيَسِيرِ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الْقَصِيرَةِ جِدًّا، بِالْإِضَافَةِ إِلَىٰ بَقَاءِ دَارِ النَّعِيمِ.

وَضَمِنَ لَهُمْ إِنْ أَحْسَنُوا أَنْ يُثِيبَهُمْ بِالْحَسَنَةِ عَشْرًا، وَإِنْ أَسَاؤُوا وَاسْتَغْفَرُوهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ، وَوَعَدَهُمْ أَنْ يَمْحُوَ عَنْهُمْ مَا جَنَوْهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ بِمَا يَفْعَلُونَهُ بَعْدَهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ، وَذَكَّرَهُمْ بِآلَائِهِ، وَتَعَرَّفَ إِلَيْهِمْ بِأَسْمَائِهِ.

وَأَمَرَهُمْ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ؛ رَحْمَةً مِنْهُ بِهِمْ وَإِحْسَانًا، لَا حَاجَةً مِنْهُ إِلَيْهِمْ، وَنَهَاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ؛ حِمَايَةً وَصِيَانَةً لهم، لَا بُخْلًا مِنْهُ عَلَيْهِمْ، وَخَاطَبَهُمْ بِأَلْطَفِ الْخِطَابِ وَأَحْلَاهُ، وَنَصَحَهُمْ بِأَحْسَنِ النَّصَائِحِ، وَوَصَّاهُمْ بِأَكْمَلِ الْوَصَايَا، وَأَمَرَهُمْ بِأَشْرَفِ الْخِصَالِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَقْبَحِ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، وَصَرَّفَ لَهُمُ الْآيَاتِ، وَضَرَبَ لَهُمُ الْأَمْثَالَ، وَوَسَّعَ لَهُمْ طُرُقَ الْعِلْمِ بِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابَ الْهِدَايَةِ، وَعَرَّفَهُمُ الْأَسْبَابَ الَّتِي تُدْنِيهِمْ مِنْ رِضَاهُ، وَتُبَاعِدُهُمْ عَنْ غَضَبِهِ.

وَيُخَاطِبُهُمْ بِأَلْطَفِ الْخِطَابِ، وَيُسَمِّيهِمْ بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [البقرة: ١٠٤].

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الزمر: ٥٣].

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي ﴾ [ابراهيم: ٣١].

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فَيُخَاطِبُهُمْ بِخِطَابِ الْوِدَادِ وَالْمَحَبَّةِ وَالتَّلَطُّفِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٣].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمان: ٣٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ ﴾ [الانفطار: ٦- ٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢- ١٠٣].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾ [الممتحنة: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا

﴿تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال: ٢٤- ٢٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج: ٧٣- ٧٤].

وَتَحْتَ هَذَا الْخِطَابِ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَبُّنَا: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠]؛ تَحْتَ هَذَا الْخِطَابِ: إِنِّي عَادَيْتُ إِبْلِيسَ، وَطَرَدْتُهُ مِنْ سَمَائِي، وَبَاعَدْتُهُ مِنْ قُرْبِي؛ إِذْ لَمْ يَسْجُدْ لِأَبِيكُمْ آدَمَ، ثُمَّ أَنْتُمْ يَا بَنِي آدَمَ تُوَالُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ مِنْ دُونِي وَهُمْ أَعْدَاءٌ لَكُمْ!!

فَلْيَتَأَمَّلِ اللَّبِيبُ مَوَاقِعَ هَذَا الْخِطَابِ، وَشِدَّةَ لُصُوقِهِ بِالْقُلُوبِ، وَالْتِبَاسِهِ بِالْأَرْوَاحِ، وَأَكْثَرُ الْقُرْآنِ جَاءَ عَلَىٰ هَذَا النَّمَطِ؛ مِنْ خِطَابِهِ لِعِبَادِهِ بِالتَّوَدُّدِ وَالتَّحَنُّنِ وَاللُّطْفِ، وَالنَّصِيحَةِ الْبَالِغَةِ.

وَأَعْلَمَ -سُبْحَانَهُ- عِبَادَهُ أَنَّهُ لَا يَرْضَىٰ لَهُمْ إِلَّا أَكْرَمَ الْوَسَائِلِ، وَأَفْضَلَ الْمَنَازِلِ، وَأَجَلَّ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ.

﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر: ٧].

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وَاللهُ -سُبْحَانَهُ- يَتَنَزَّهُ إِلَىٰ عِبَادِهِ مِنْ مَوَاضِعِ الظِّنَّةِ وَالتُّهمَةِ الَّتِي نَسَبَهَا إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَلَا قَدَرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ؛ مِنْ تَكْلِيفِ عِبَادِهِ مَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، وَلَا طَاقَةَ لَهُمْ بِفِعْلِهِ الْبَتَّةَ، وَتَعْذِيبِهِمْ إِنْ شَكَرُوهُ وَآمَنُوا بِهِ، وَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا لَا لِحِكْمَةٍ وَلَا لِغَايَةٍ، وَأَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقَهُ لِحَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهِمْ، وَلَا لِيَتَكَثَّرَ بِهِمْ مِنْ قِلَّةٍ، وَلَا لِيَتَعَزَّزَ بِهِمْ، كَمَا قَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقِ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ لِحَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهِمْ، وَلَا لِيَرْبَحَ عَلَيْهِمْ، لَكِنْ خَلَقَهُمْ جُودًا وَإِحْسَانًا؛ لِيَعْبُدُوهُ فَيَرْبَحُوا هُمْ عَلَيْهِ كُلَّ الْأَرْبَاحِ.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧].

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الروم: ٤٤].

وَلَمَّا أَمَرَهُمْ بِالْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ الَّذِي يَحُطُّ عَنْهُمْ أَوْزَارَهُمْ، وَيَدْخُلُونَ بِهِ عَلَيْهِ، وَيَرْفَعُ بِهِ دَرَجَاتِهِمْ؛ قَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة: ٦].

وَقَالَ فِي الْأَضَاحِيِّ وَالْهَدَايَا: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ

﴿ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

وَقَالَ عَقِيبَ أَمْرِهِمْ بِالصَّدَقَةِ، وَنَهْيِهِمْ عَنْ إِخْرَاجِ الرَّدِيءِ مِنَ الْمَالِ: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [القرة: ٢٦٧].

يَقُولُ -سُبْحَانَهُ-: إِنِّي غَنِيٌّ عَمَّا تُنْفِقُونَ أَنْ يَنَالَنِي مِنْهُ شَيْءٌ، حَمِيدٌ مُسْتَحِقٌّ الْمَحَامِدَ كُلَّهَا، فَإِنْفَاقُكُمْ لَا يَسُدُّ مِنْهُ حَاجَةً، وَلَا يُوجِبُ لَهُ حَمْدًا، بَلْ هُوَ الْغَنِيُّ بِنَفْسِهِ، الْحَمِيدُ بِنَفْسِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَإِنْفَاقُكُمْ إِنَّمَا نَفْعُهُ لَكُمْ، وَعَائِدَتُهُ عَلَيْكُمْ.

وَمِنَ الْمُتَعَيِّنِ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ حَلَاوَةُ هَذَا الْخِطَابِ، وَجَلَالَتُهُ، وَلُطْفُ مَوْقِعِهِ، وَجَذْبُهُ لِلْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ، وَمُخَالَطَتُهُ لَهَا؛ مِنَ الْمُتَعَيِّنِ عَلَيْهِ أَنْ يُعَالِجَ قَلْبَهُ بِالتَّقْوَىٰ، وَأَنْ يَسْتَفْرِغَ مِنْهُ الْمَوَادَّ الْفَاسِدَةَ الَّتِي حَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَظِّهِ مِنْ ذَلِكَ، وَأَنْ يَتَعَرَّضَ إِلَىٰ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَنَالُهُ بِهَا؛ مِنْ صِدْقِ الرَّغْبَةِ وَاللَّجْأِ إِلَىٰ اللهِ أَنْ يُحْيِيَ قَلْبَهُ وَيُزَكِّيَهُ، وَيَجْعَلَ فِيهِ الْإِيمَانَ وَالْحِكْمَةَ؛ فَالْقَلْبُ الْمَيِّتُ لَا يَذُوقُ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ، وَلَا يَتَمَتَّعُ بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ.

مَنِ اسْتَقْرَأَ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَىٰ وَجَدَهَا مَدَائِحَ وَثَنَاءَاتٍ تَقْصُرُ بَلَاغَاتُ الْوَاصِفِينَ عَنْ بُلُوغِ كُنْهِهَا، وَتَعْجِزُ الْأَوْهَامُ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِالْوَاحِدِ مِنْهَا، وَمَعَ ذَلِكَ فَللهِ -سُبْحَانَهُ- مَحَامِدُ وَمَدَائِحُ وَأَنْوَاعٌ مِنَ الثَّنَاءِ لَمْ تَتَحَرَّكْ بِهَا الْخَوَاطِرُ، وَلَا هَجَسَتْ بِهَا الضَّمَائِرُ، وَلَا لَاحَتْ لِمُتَوَسِّمٍ، وَلَا سَنَحَتْ فِي الْفِكْرِ.

فَفِي دُعَاءِ أَعْرَفِ الْخَلْقِ بِرَبِّهِ -تَعَالَىٰ-، وَأَعْلَمِهِمْ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَمَحَامِدِهِ: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ؛ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ،**

أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي وَغَمِّيْ»(١).

وَفِيْ «الصَّحِيحِ»(٢) عَنْهُ ﷺ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ لَمَّا يَسْجُدُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ قَالَ: «**فَيَفْتَحُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ بِشَيْءٍ لَا أُحْسِنُهُ الْآنَ**».

وَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِعَفْوِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِيْ ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**»(٣).

فَاللهُ لَهُ الْمُلْكُ التَّامُّ، مَا يَخْرُجُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ؛ أَعْيَانِهَا وَأَفْعَالِهَا، وَلَهُ الْحَمْدُ التَّامُّ الَّذِي وَسِعَ كُلَّ مَعْلُومٍ، وَشَمِلَ كُلَّ مَقْدُورٍ»(٤).(*).

❀❀❀

(١) أخرجه أحمد (٣٧١٢) واللفظ له، وابن حبان (٩٧٢)، والطبراني (١٠/ ٢١٠) (١٠٣٥٢) باختلاف يسير، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٩٩) من حديث ابن مسعود ﷺ

(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِن مَحَامِدِهِ وحُسْنِ الثَّنَاءِ عليه شيئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ علَىٰ أَحَدٍ قَبْلِي**».

(٣) أخرجه مسلم (٤٨٦).

(٤) «كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين» باختصار (١/ ٢٦٤-٣٢٢) للعلَّامة ابن القيم رحمه الله.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْحَمَّادُونَ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٧هـ| ٤-١٢-٢٠١٥م.

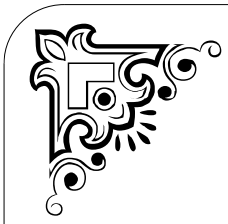

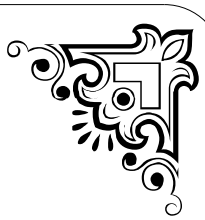

مَوَاطِنُ الْحَمْدِ

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ -تَعَالَىٰ- مَطْلُوبٌ مِنَ الْمُسْلِمِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَهُنَاكَ أَوْقَاتٌ مُعَيَّنَةٌ وَأَحْوَالٌ مَخْصُوصَةٌ تَمُرُّ بِالْعَبْدِ يَكُونُ فِيهَا الْحَمْدُ أَكْثَرَ تَأْكِيدًا.

مِنْ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَحْوَالِ: حَمْدٌ للهِ فِي الْخُطْبَةِ، وَفِي اسْتِفْتَاحِ الْأُمُورِ، وَفِي الصَّلَاةِ، وَعَقِبَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَاللِّبَاسِ، وَالْعُطَاسِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمَوَاطِنِ الَّتِي وَرَدَ فِي السُّنَّةِ تَخْصِيصُهَا بِتَأَكُّدِ الْحَمْدِ فِيهَا.

مِنْ هَذِهِ الْمَوَاطِنِ: حَمْدُ اللهِ عِنْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢].

وَرَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(١) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»**.

وَرَوَىٰ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ(٢) عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٤).

(٢) تقدم تخريجه.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».

وَرَوَىٰ الْبُخَارِيُّ(١) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ: «**الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ، وَلَا مُوَدَّعٍ، وَلَا مُسْتَغْنًىٰ عَنْهُ رَبَّنَا**».(*).

وَعَنْ نَوْفَلِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الدِّيلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَشْرَبُ بِثَلَاثَةِ أَنْفَاسٍ، يُسَمِّي اللهَ ﷻ فِي أَوَّلِهِ، وَيَحْمَدُهُ فِي آخِرِهِ**». رَوَاهُ ابْنُ السُّنِّيِّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»(٣).

وَيَتَأَكَّدُ الْحَمْدُ للهِ جَلَّ وَعَلَا فِي مَوَاضِعَ، مِنْهَا: اللِّبَاسُ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ، إِمَّا قَمِيصًا أَوْ عِمَامَةً، ثُمَّ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ**»(٤). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٥٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ شَرْح: «الْوَابِلُ الصَّيِّبُ وَرَافِعُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ: مَوَاطِنُ الْحَمْدِ» (الْمُحَاضَرَة: ٢٣٤)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٥ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٤٢هـ| ٤-٨-٢٠٢١م.

(٣) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٧٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٨٦) وغيرهما.

وصححه لشواهده العلامة الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٣٥١، ح١٢٧٧).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٠٢٠) واللفظ له، والترمذي (١٧٦٧)، وأحمد (١١٢٦٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٠٢٠).

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.(*).

وَمِنْ مَوَاطِنِ الْحَمْدِ: حَمْدُ اللهِ فِي الصَّلَاةِ؛ لَا سِيَّمَا عِنْدَ الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ؛ فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»(٣) عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**».(*/٢).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ؛ أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»(٥). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«**أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ**» أَيْ: هُوَ مُسْتَحِقٌّ لِأَنْ يُثْنَىٰ عَلَيْهِ، مُسْتَحِقٌّ لِأَنْ يُمَجِّدَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٢٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٠٢٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «مِنْ صِفَاتِ اللهِ -تَعَالَىٰ-: الْحَمْدُ» - الْأَرْبِعَاءُ ٩ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٣هـ| ٣٠-٥-٢٠١٢م.

(٣) تقدم تخريجه.

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ شَرْح: «الْوَابِلُ الصَّيِّبُ وَرَافِعُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ: مَوَاطِنُ الْحَمْدِ» (الْمُحَاضَرَة: ٢٣٤)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٥ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٤٢هـ| ٤-٨-٢٠٢١م.

(٥) أخرجه مسلم (٤٧٨).

نَفْسَهُ، وَأَنْ تُمَجَّدَ نَفْسُهُ، وَالْعِبَادُ لَا يُحْصُونَ ثَنَاءً عَلَيْهِ، وَهُوَ كَمَا أَثْنَىٰ -سُبْحَانَهُ- عَلَىٰ نَفْسِهِ.

«**أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ**»: يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ حَمْدُ اللهِ أَحَقَّ الْأَقْوَالِ بِأَنْ يَقُولَهُ الْعَبْدُ، وَمَا كَانَ أَحَقَّ الْأَقْوَالِ كَانَ أَفْضَلَهَا، وَأَوْجَبَهَا عَلَىٰ الْإِنْسَانِ؛ فَلَهُ الْحَمْدُ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَفْعَلُ إِلَّا الْخَيْرَ وَالْإِحْسَانَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ عَلَيْهِ ﷻ؛ وَإِنْ كَانَ الْعِبَادُ لَا يَعْلَمُونَ.

وَقَوْلُهُ: «**لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**» اعْتِرَافٌ بِتَوْحِيدِهِ، وَأَنَّ النِّعَمَ كُلَّهَا مِنْهُ، وَهَذَا يَتَضَمَّنُ أُمُورًا:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ؛ فَلَا يُسْتَعَانُ إِلَّا بِهِ، وَلَا يُطْلَبُ إِلَّا مِنْهُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ إِذَا أَعْطَىٰ لَمْ يُطِقْ أَحَدٌ مَنْعَ مَنْ أَعْطَاهُ، وَإِذَا مَنَعَ لَمْ يُطِقْ أَحَدٌ إِعْطَاءَ مَنْ مَنَعَهُ، فَهُوَ ﷻ الَّذِي يُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَهُوَ ﷻ الَّذِي يُجْزِلُ وَيَمْنَحُ، وَهُوَ ﷻ الَّذِي يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ، بِيَدِهِ الْأَمْرُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عِنْدَهُ، وَلَا يُخَلِّصُ مِنْ عَذَابِهِ، وَلَا يُدْنِي مِنْ كَرَامَتِهِ جُدُودُ بَنِي آدَمَ، وَحُظُوظُهُمْ مِنَ الْمُلْكِ وَالرِّيَاسَةِ، وَالْغِنَىٰ، وَطِيبِ الْعَيْشِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يَنْفَعُهُمْ عِنْدَهُ التَّقَرُّبُ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ، وَإِيثَارِ مَرْضَاتِهِ.

وَكَذَلِكَ يَكُونُ الْحَمْدُ بَعْدَ تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ؛ فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ قَالَ رَجُلٌ فِي الْقَوْمِ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ للهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**مَنِ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟**».

قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: «أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ».

قَالَ: «**عَجِبْتُ لَهَا! فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ**».

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا جَاءَ فَدَخَلَ الصَّفَّ وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ، فَقَالَ: «الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ».

فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ قَالَ: «**أَيُّكُمُ الْمُتَكَلِّمُ بِالْكَلِمَاتِ؟**».

فَأَرَمَّ الْقَوْمُ -أَيْ: سَكَتُوا، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ-، فَقَالَ: «**أَيُّكُمُ الْمُتَكَلِّمُ بِهَا؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ بَأْسًا**».

فَقَالَ رَجُلٌ: «جِئْتُ وَقَدْ حَفَزَنِي النَّفَسُ فَقُلْتُهَا».

فَقَالَ: «**لَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا**»(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

«**وَحَفَزَهُ النَّفَسُ**» أَيْ: ضَغَطَهُ النَّفَسُ وَجَهَدَهُ؛ لِسُرْعَةِ الْمَجِيءِ.

«**وَيَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا**» أَيْ: يَسْبِقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِرَفْعِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ

---

(١) أخرجه مسلم (٦٠١).

(٢) أخرجه مسلم (٦٠٠).

إِلَىٰ الْعَلِيِّ الْأَعْلَىٰ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ؛ لِعِظَمِهَا وَعِظَمِ قَدْرِهَا.

وَكَذَلِكَ يَكُونُ الْحَمْدُ عِنْدَ السَّحَرِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ وَأَسْحَرَ يَقُولُ: «**سَمَّعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللهِ وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صَاحِبْنَا، وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا، عَائِذًا بِاللهِ مِنَ النَّارِ**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

«**سَمَّعَ سَامِعٌ**» أَيْ: شَهِدَ شَاهِدٌ عَلَىٰ حَمْدِنَا للهِ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ نِعَمِهِ وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا، أَرَادَ بِالْبَلَاءِ النِّعْمَةَ، وَاللهُ -سُبْحَانَهُ- يَبْلُو عِبَادَهُ تَارَةً بِالْمَضَارِّ لِيَصْبِرُوا، وَطَوْرًا بِالْمَسَارِّ لِيَشْكُرُوا، فَصَارَتِ الْمِحْنَةُ وَالْمِنْحَةُ جَمِيعًا بَلَاءً لِمَوْقِعِ الِاخْتِبَارِ، وَالْمِنْحَةُ أَعْظَمُ الْبَلَائَيْنِ؛ لَا سِيَّمَا لِذَوِي النُّفُوسِ الْكَامِلَةِ؛ لِأَنَّهَا الْمُوجِبَةُ لِلْقِيَامِ بِحُقُوقِ الشُّكْرِ، وَالْقِيَامُ بِهَا أَتَمُّ وَأَصْعَبُ وَأَعْلَىٰ وَأَفْضَلُ مِنَ الْقِيَامِ بِحُقُوقِ الصَّبْرِ.

وَالْتَفَتَ إِلَىٰ هَذَا الْمَعْنَىٰ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي قَوْلِهِ(٢): «ابْتُلِينَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالضَّرَّاءِ فَصَبَرْنَا، ثُمَّ ابْتُلِينَا بِالسَّرَّاءِ بَعْدَهُ فَلَمْ نَصْبِرْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

«**رَبَّنَا صَاحِبْنَا**»: أَرَادَ بِهِ الْمُصَاحَبَةَ بِالْعِنَايَةِ وَالْكَلَاءَةِ، فَنَبَّهَ بِهَذَا الْقَوْلِ عَلَىٰ حُسْنِ الِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ، وَكَمَالِ الِاكْتِفَاءِ بِهِ عَنْ كُلِّ صَاحِبٍ سِوَاهُ.

«**وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا**» أَيْ: أَحْسِنْ إِلَيْنَا، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّهُ مَعَ مَا ذَكَرَ مِنْ مَزِيدِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٦٤)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٤٦٤).

نِعَمِ اللهِ بِحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْهِ، فَهُوَ غَيْرُ مُسْتَغْنٍ عَنْ فَضْلِهِ؛ بَلْ هُوَ أَشَدُّ النَّاسِ افْتِقَارًا إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ اسْتِغْنَاؤُهُ بِاللهِ أَكْثَرَ كَانَ افْتِقَارُهُ إِلَيْهِ أَشَدَّ.

«**عَائِذًا بِاللهِ مِنَ النَّارِ**» وَالتَّقْدِيرُ: وَأَنَا عَائِذٌ بِاللهِ وَمُتَعَوِّذٌ بِهِ.(*).

وَمِنَ الْمَوَاطِنِ الَّتِي يَتَأَكَّدُ فِيهَا الْحَمْدُ للهِ: فِي ابْتِدَاءِ الْخُطَبِ وَالدُّرُوسِ، وَفِي ابْتِدَاءِ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

رَوَىٰ أَهْلُ السُّنَنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «**عَلَّمَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خُطْبَةَ الْحَاجَةِ: الْحَمْدُ للهِ، نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ**»(٢).

وَيُسْتَحَبُّ الْحَمْدُ عِنْدَ حُصُولِ نِعْمَةٍ، أَوِ انْدِفَاعِ مَكْرُوهٍ؛ سَوَاءٌ حَصَلَ ذَلِكَ لِلْحَامِدِ نَفْسِهِ، أَوْ لِقَرِيبِهِ، أَوْ لِصَاحِبِهِ، أَوْ لِلْمُسْلِمِينَ.

رَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَ اللَّبَنَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ، وَلَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «مِنْ صِفَاتِ اللهِ -تَعَالَىٰ-: الْحَمْدُ» - الْأَرْبِعَاءُ ٩ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٣هـ| ٣٠-٥-٢٠١٢م.

(٢) أخرجه أبو داود (٢١١٨)، والترمذي (١١٠٥)، والنسائي (١٤٠٤)، وابن ماجه (١٨٩٢) واللفظ له، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٥٤٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٠٩).

وَيَتَأَكَّدُ الْحَمْدُ إِذَا عَطَسَ الْعَبْدُ، وَالْعُطَاسُ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ للهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ؛ فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ**».

وَيُسْتَحَبُّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْمَدَ اللهَ إِذَا رَأَىٰ مُبْتَلًىٰ بِعَاهَةٍ أَوْ نَحْوِهَا؛ فَفِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ رَأَىٰ مُبْتَلًىٰ فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا؛ لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ**»(٢).

فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ حَامِدًا للهِ فِي سَرَّائِهِ وَضَرَّائِهِ، وَفِي شِدَّتِهِ وَرَخَائِهِ، وَفِي سَائِرِ شُؤُونِهِ وَأَحْوَالِهِ.

رَوَىٰ ابْنُ مَاجَه فِي «سُنَنِهِ»، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا رَأَىٰ مَا يُحِبُّهُ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَإِذَا رَأَىٰ مَا يَكْرَهُ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ**»(٣).(*).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٤).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (٣٤٣٢)، أخرجه ابن ماجه (٣٨٩٢)، والبزار (٥٨٣٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٣٢٤)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٧٣٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٧٨) واللفظ لهما، =

وَكَذَلِكَ عِنْدَ الِاسْتِيقَاظِ مِنَ النَّوْمِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَعَافَانِي فِي جَسَدِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ**»(٢). رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ»، وَكَذَا ابْنُ السُّنِّيِّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» وَاللَّفْظُ لَهُ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»(٣). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَكَذَلِكَ عِنْدَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: أَصْبَحْتُ أُثْنِي عَلَيْكَ حَمْدًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ -ثَلَاثًا-، وَإِذَا أَمْسَىٰ فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ**»(٤). رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ»، وَحَسَّنَهُ مُقْبِلٌ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ مِمَّا لَيْسَ فِي الصَّحِيحَيْنِ».

=

والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٦٦٣)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٠٨١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ شَرْح: «الْوَابِلُ الصَّيِّبُ وَرَافِعُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ: مَوَاطِنُ الْحَمْدِ» (الْمُحَاضَرَة: ٢٣٤)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٥ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٤٢هـ| ٤-٨-٢٠٢١م.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٠١) واللفظ له، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٧٠٢)، وحسنه الألباني في «الكلم الطيب» (٤١).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٩٤).

(٤) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٧١)، وهو في «السنن الكبرىٰ» (٩/ ٢١٢)، وَحَسَّنَ الحديث العلامة مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله في «الجامع الصحيح فيما ليس في الصحيحين» (٢/ ٤٧٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِرَجُلٍ: «**كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا فُلَانُ؟**».

قَالَ: «أَحْمَدُ اللهَ إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا الَّذِي أَرَدْتُ مِنْكَ**»(١). رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ»، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ بِشَوَاهِدِهِ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ».

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «فِي هَذَا الْخَبَرِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ السُّنَّةَ الْمَعْمُولَ بِهَا فِي الْمُحَاوَرَةِ لِلسَّائِلِ عَنِ الْحَالِ: حَمْدُ اللهِ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْمَسْؤُولَ عَنْ حَالِهِ لَا يَنْفَكُّ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ ظَاهِرَةٍ وَبَاطِنَةٍ؛ مِنْ صِحَّةِ جِسْمٍ، وَصَرْفِ بَلَاءٍ، وَكَشْفِ كُرْبَةٍ، وَتَفْرِيجِ غَمٍّ، وَرِزْقٍ يُرْزَقُهُ، وَخَيْرٍ يُمْنَحُهُ؛ ذَكَرَ ذَلِكَ أَوْ نَسِيَهُ، فَإِذَا سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَلْيَحْمَدْ رَبَّهُ؛ فَلَهُ الْحَمْدُ كُلُّهُ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالُ».

وَالْحَمْدُ يَكُونُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ؛ فَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا تَسْتَقِلُّ الشَّمْسُ فَيَبْقَىٰ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ إِلَّا سَبَّحَ اللهَ وَحَمِدَهُ؛ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَأَعْتَىٰ بَنِي آدَمَ**».

فَسَأَلْتُ عَنْ أَعْتَىٰ بَنِي آدَمَ، فَقَالَ: «**شِرَارُ الْخَلْقِ**، أَوْ قَالَ: **شِرَارُ خَلْقِ اللهِ**»(٣).

---

(١) روىٰ الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٧)، و«الأوسط» (٤٣٧٧)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٩٥٢) بشواهده.

(٢) «الاستذكار» (٨/ ٤٦٩).

(٣) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٩٦٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١١١)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٢٤).

رَوَاهُ ابْنُ السُّنِّيِّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ»، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ».

بَلْ يَكُونُ الْحَمْدُ عِنْدَ فَقْدِ الْوَلَدِ؛ فَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟**

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ.

فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ.

فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟

فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ.

فَيَقُولُ اللهُ -تَعَالَىٰ-: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ»[(١)].

الْحَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

هَذَا هُوَ حَالُ الْمُؤْمِنِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ: إِنَّ عَبْدِي الْمُؤْمِنَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ كُلِّ خَيْرٍ، يَحْمَدُنِي وَأَنَا أَنْزِعُ نَفْسَهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ**»[(٢)].

رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٤١)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»١(٠/ ٩٦) وقال: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩١٠).

وَالْحَمْدُ يَكُونُ عِنْدَ رُكُوبِ الدَّابَّةِ، وَفِي دُبُرِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَفِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ.

فَلَا تَخْلُو حَالٌ مِنْ حَمْدٍ؛ عَلِمَ ذَلِكَ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ.(*).

فَهَذِهِ بَعْضُ الْمَوَاطِنِ الَّتِي يَتَأَكَّدُ فِيهَا الْحَمْدُ مِمَّا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «مِنْ صِفَاتِ اللهِ -تَعَالَىٰ-: الْحَمْدُ» - الْأَرْبِعَاءُ ٩ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٣هـ| ٣٠-٥-٢٠١٢م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْوَابِلِ الصَّيِّبِ وَرَافِعِ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ: مَوَاطِنُ الْحَمْدِ» (الْمُحَاضَرَة: ٢٣٤)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٥ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٤٢هـ| ٤-٨-٢٠٢١م.

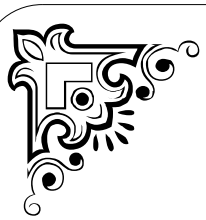
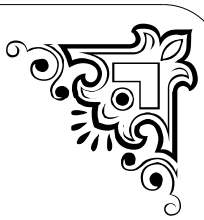

فَضَائِلُ الْحَمْدِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

لَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي بَيَانِ فَضْلِ الْحَمْدِ، وَبَيَانِ عَظِيمِ شَأْنِهِ؛ فَقَدِ افْتَتَحَ اللهُ -تَعَالَىٰ- الْكِتَابَ الْمَجِيدَ بِالْحَمْدِ فَقَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٢-٤].(*).

وَالسُّنَّةُ مَلِيئَةٌ بِذِكْرِ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ فَضْلِ الْحَمْدِ وَعِظَمِ شَأْنِهِ؛ فَقَدْ رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَوَّلُ مَنْ يُدْعَىٰ إِلَىٰ الْجَنَّةِ الْحَمَّادُونَ، الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ**».

وَمِمَّا ثَبَتَ فِي فَضْلِ الْحَمْدِ، وَعِظَمِ ثَوَابِهِ عِنْدَ اللهِ: مَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»(٢) عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْح الْوَابِلِ الصَّيِّبِ وَرَافِعِ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ: مِنَ الْآيَاتِ فِي بَيَانِ فَضْلِ الْحَمْدِ» (الْمُحَاضَرَة: ٢٣٢)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٥ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٤٢هـ| ٤-٨-٢٠٢١م.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣).

فَالْحَمْدُ شَأْنُهُ عَظِيمٌ، وَثَوَابُهُ جَزِيلٌ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ.

فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١): «**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**»(*).

وَعَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ رضي الله عنه **قَالَ**: «كُنْتُ شَاعِرًا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي مَدَحْتُ رَبِّي بِمَحَامِدَ».

قَالَ: «**أَمَا إِنَّ رَبَّكَ يُحِبُّ الْحَمْدَ**»(٣). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

فَهُوَ سبحانه وتعالى حَمِيدٌ يُحِبُّ الْحَمْدَ، وَيُحِبُّ مَنْ يَحْمَدُهُ، وَحَمْدُهُ لِنَفْسِهِ أَعْظَمُ مِنْ حَمْدِ الْعِبَادِ لَهُ، وَيُحِبُّ مَنْ يُثْنِي عَلَيْهِ، وَثَنَاؤُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَعْظَمُ مِنْ ثَنَاءِ الْعِبَادِ عَلَيْهِ.

وَالْحَمْدُ: هُوَ الْإِخْبَارُ بِمَحَاسِنِ الْمَحْمُودِ عَلَىٰ وَجْهِ الْمُحِبِّ لَهُ.

وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ لَا تَصْلُحُ عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ، وَلَا تَنْبَغِي إِلَّا لِمَنْ هَذَا شَأْنُهُ، وَهُوَ الْحَمِيدُ الْمَجِيدُ.

---

(١) تقدم تخريجه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحِ الْوَابِلِ الصَّيِّبِ وَرَافِعِ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ: مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي بَيَانِ فَضْلِ الْحَمْدِ» (الْمُحَاضَرَة: ٢٣٣)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٥ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٤٢هـ| ٤-٨-٢٠٢١م.

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٤٢)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٣١٧٩).

وَمَحَاسِنُ الْمَحْمُودِ -تَعَالَىٰ- إِمَّا قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ، وَإِمَّا ظَاهِرَةٌ فِي مَخْلُوقَاتِهِ.

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: حَمْدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهُوَ حَمْدٌ يَتَضَمَّنُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ بِكَمَالِهِ الْقَائِمِ بِذَاتِهِ، وَعَلَىٰ مَا لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ، وَالصِّفاتِ الْكَامِلَةِ الْعُلْيَا، وَالْمَدَائِحِ وَالْمَحَامِدِ، وَالنُّعُوتِ الْجَلِيلَةِ الْجَمِيلَةِ.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي: حَمْدُ النِّعَمِ والْآلَاءِ، وَهَذَا مَشْهُودٌ لِلْخَلِيقَةِ بَرِّهَا وَفَاجِرِهَا، مُؤْمِنِهَا وَكَافِرِهَا؛ مِنْ جَزِيلِ مَوَاهِبِهِ، وَسَعَةِ عَطَايَاهُ، وَكَرِيمِ أَيَادِيهِ، وَجَمِيلِ صَنَائِعِهِ، وَحُسْنِ مُعَامَلَتِهِ لِعِبَادِهِ، وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ لَهُمْ، وَبِرِّهِ وَلُطْفِهِ وَحَنَانِهِ.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْحَمْدِ**»(١). رَوَاهُ أَبُو يَعْلَىٰ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَحَمْدُهُ يَتَضَمَّنُ أَصْلَيْنِ: الْإِخْبَارَ بِمَحَامِدِهِ وَصِفَاتِ كَمَالِهِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُ عَلَيْهِ.

وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- كَمَا يُحِبُّ أَنْ يُعْبَدَ يُحِبُّ أَنْ يُثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُحْمَدَ، وَأَنْ يُذْكَرَ بِأَوْصَافِهِ الْعُلَىٰ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ.

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ: الْحَمْدُ للهِ**»(٢). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

---

(١) رواه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٤٢٥٦)، وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٧٩٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٦٦٧)، وحسنه الألباني في «هداية الرواة» (٢٢٤٦).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «فَسَمَّىٰ الْحَمْدَ للهِ دُعَاءً، وَهُوَ ثَنَاءٌ مَحْضٌ؛ لِأَنَّ الْحَمْدَ مُتَضَمِّنٌ الْحُبَّ وَالثَّنَاءَ، وَالْحُبُّ أَعْلَىٰ أَنْوَاعِ الطَّلَبِ، فَالْحَامِدُ طَالِبٌ لِلْمَحْبُوبِ، فَهُوَ أَحَقُّ أَنْ يُسَمَّىٰ دَاعِيًا مِنَ السَّائِلِ الطَّالِبِ، فَنَفْسُ الْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ مُتَضَمِّنٌ لِأَعْظَمِ الطَّلَبِ، فَهُوَ دُعَاءٌ حَقِيقَةً؛ بَلْ أَحَقُّ أَنْ يُسَمَّىٰ دُعَاءً مِنْ غَيْرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّلَبِ الَّذِي هُوَ دُونَهُ».

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ؛ إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَاهُ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ**»[٢]. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

فَإِنَّ حَمْدَهُ لِوَلِيِّ النِّعْمَةِ نِعْمَةٌ أُخْرَىٰ هِيَ أَفْضَلُ وَأَنْفَعُ لَهُ، وَأَجْدَىٰ عَائِدَةً مِنَ النِّعْمَةِ الْعَاجِلَةِ؛ فَإِنَّ أَفْضَلَ النِّعَمِ وَأَجَلَّهَا عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ نِعْمَةُ مَعْرِفَتِهِ -تَعَالَىٰ-، وَحَمْدِهِ وَطَاعَتِهِ.

يَدُلُّكَ عَلَىٰ ذَلِكَ الْوَاقِعُ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا فَتَّشَ فِي نَفْسِهِ وَقَلْبِهِ؛ قَدْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ حَدِّ الْجَزْمِ بِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ بَعْدُ رَبَّهُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْرِفَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ قَصٌّ عَلَىٰ آثَارِ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْآبَاءِ وَالسَّالِفِينَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحَرِّرَ ذَلِكَ تَحْرِيرًا صَحِيحًا، وَإِنَّمَا صُبِغَ فِي مُجْتَمَعٍ جَاهِلٍ، ثُمَّ أُخْرِجَ مِنْهُ بِصِبْغَتِهِ، فَكَانَ عَلَىٰ طَرِيقِ الْعِلْمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَطَهَّرَ مِنْ شَوَائِبِهِ وَأَكْدَارِهِ، فَمَا تَزَالُ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٥/ ١٩).

(٢) تقدم تخريجه.

مُحِيطَةً بِقَلْبِهِ غِشَاوَاتُهَا، وَمَا تَزَالُ مُلْقِيَةً عَلَىٰ عَيْنِ بَصِيرَتِهِ بِحُجُبِهَا.

فَالْمَرْءُ إِذَا مَا تَأَمَّلَ فِي هَذَا كُلِّهِ؛ يَكَادُ يَصِلُ إِلَىٰ حَدِّ الْجَزْمِ بِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ بَعْدُ رَبَّهُ مَعْرِفَةً تَلِيقُ بِكَمَالِهِ وَجَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، مَعْرِفَةً بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُعْرَفَ.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْحَمَّادُونَ**»(١). رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

دَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَىٰ أَنَّ أَفْضَلَ الْعِبَادِ يَوْمَ الْمَعَادِ: الَّذِينَ يُكْثِرُونَ مِنْ حَمْدِ اللهِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ.(*).

❀❀❀

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥٤)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (١٥٧١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «مِنْ صِفَاتِ اللهِ -تَعَالَىٰ-: الْحَمْدُ» - الْأَرْبِعَاءُ ٩ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٣هـ| ٣٠-٥-٢٠١٢م.

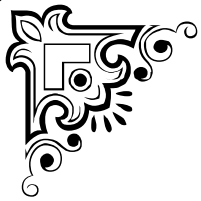

احْمَدُوا اللهَ عَلَى نِعَمِهِ الْكَثِيرَةِ!

عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي مَعْرِفَةِ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ مَا آتَاهُ اللهُ وَأَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ، لَا إِلَىٰ مَا آتَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ غَيْرَهُ مِمَّا أَنْعَمَ بِهِ عَلَىٰ غَيْرِهِ ابْتِلَاءً لَهُ وَاخْتِبَارًا وَامْتِحَانًا، وَكُلُّ مَا يَقْضِي بِهِ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلْعَبْدِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ.

جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ رَحِمَهُ اللهُ يَشْكُو ضِيقَ الْحَالِ وَالْفَقْرِ، فَقَالَ لَهُ يُونُسُ: «أَيَسُرُّكَ بِبَصَرِكَ هَذَا مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ؟». قَالَ الرَّجُلُ: «لَا». قَالَ: «فَبِيَدَيْكَ مِائَةُ أَلْفٍ؟». قَالَ: «لَا». قَالَ: «فَبِرِجْلَيْكَ مِائَةُ أَلْفٍ؟». قَالَ: «لَا». قَالَ: «فَذَكَّرَهُ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِ».

فَقَالَ يُونُسُ: «أَرَىٰ عِنْدَكَ مِئِينَ الأُلُوفِ وَأَنْتَ تَشْكُو الْحَاجَةَ».

وَعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قَالَ**: «إِنَّ رَجُلًا بُسِطَ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا، فَانْتُزِعَ مَا فِي يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَحْمَدُ اللهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ؛ حَتَّىٰ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِرَاشٌ إِلا بَارِيَّةٌ -وَهِيَ الْبِسَاطُ الَّذِي يَكُونُ فِي الْبَيْتِ يُدَاسُ عَلَيْهِ-.

قَالَ: فَجَعَلَ يَحْمَدُ اللهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ.

وَبُسِطَ لِآخَرَ مِنَ الدُّنْيَا، فَقَالَ لِصَاحِبِ الْبَارِيَّةِ: أَرَأَيْتَكَ أَنْتَ؛ عَلَامَ تَحْمَدُ اللهَ؟!

قَالَ: أَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا لَوْ أُعْطِيتُ بِهِ مَا أُعْطِيَ الْخَلْقُ لَمْ أُعْطِهِمْ إِيَّاهُ.

قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟

قَالَ: أَرَأَيْتَ كَبَصَرِكَ؟ أَرَأَيْتَ كَلِسَانِكَ؟ أَرَأَيْتَ كيَدَيْكَ؟ أَرَأَيْتَ كرِجْلَيْكَ؟».

انْظُرْ إِلَىٰ مَا آتَاكَ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَىٰ مَا أَعْطَىٰ غَيْرَكَ، وَقَدْ حَرَمَهُ -أَيْضًا- مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا آتَاكَ.

وَإِذَا آتَاكَ الْإِيمَانَ، وَالْحَمْدَ، وَالشُّكْرَ، وَالذِّكْرَ؛ فَمَا الَّذِي تُرِيدُ بَعْدُ؟!!

وَنَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُعَرِّفَنَا بِهِ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ الْمُثْلَىٰ، وَأَنْ يُسْكِنَ قُلُوبَنَا الْحَمْدَ لَهُ، وَالشُّكْرَ لَهُ، وَالْإِيمَانَ بِهِ، وَالْيَقِينَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُحْسِنَ خِتَامَنَا أَجْمَعِينَ.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُقَنِّعَنَا بِمَا رَزَقَنَا، وَأَنْ يُوزِعَنَا شُكْرَهُ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْحَمَّادِينَ، وَأَنْ يُحْيِيَنَا عَلَىٰ ذَلِكَ، وَأَنْ يَقْبِضَنَا عَلَيْهِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْحَمَّادُونَ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٧هـ| ٤-١٢-٢٠١٥م.

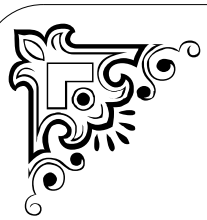

الفِهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ..... ٣

الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ أَصْلُ الْعِلْمِ..... ٤

عَقِيدَتُنَا فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ..... ٦

خَطَرُ الْجَهْلِ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ..... ١٠

مِنْ صِفَاتِ اللهِ -تَعَالَىٰ-: الْحَمْدُ..... ٢٠

مَعْنَىٰ الْحَمْدِ لُغَةً وَشَرْعًا..... ٢٦

الْحَمْدُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ..... ٣١

الْحَمْدُ أَوْسَعُ الصِّفَاتِ وَأَعَمُّ الْمَدَائِحِ..... ٤٩

مَوَاطِنُ الْحَمْدِ..... ٦٢

فَضَائِلُ الْحَمْدِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ..... ٧٤

احْمَدُوا اللهَ عَلَىٰ نِعَمِهِ الْكَثِيرَةِ!..... ٧٩